سَأُحَدِّثُكُم عَن هَاجِس

مجموعة نصوص أدبية ل أقلام جديدة

تقديم وتحرير

هيفاء أسعد

سَأُحَدِّثُكُم عَن هَاجِس

مجموعة نصوص أدبية ل أقلام جديدة

تقديم وتحرير

هيفاء أسعد

مواطـــن، المؤسســة الفلسـطينية لدراســة الديمقراطية
رام الله - فلسطين

Aspirations
A Collection of Palestinian Literary Texts

by

Haifa Asa'ad

© Copyright: MUWATIN - The Palestinian
Institute for the Study of Democracy
P.O.Box 1845 Ramallah, Palestine
2012

ISBN 978-9950-312-66-1

This book is published as part of an agreement
of cooperation with the Ford Foundation, Cairo

جميع الحقوق محفوظة

مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية

ص.ب ١٨٤٥، رام الله، فلسطين

هاتف: ١١٠٨ ٢٩٥-٢-٩٧٢+، فاكس:٠٢٨٥ ٢٩٦-٢-٩٧٢+

البريد الالكتروني: muwatin@muwatin.org

٢٠١٢

يصدر هذا الكتاب ضمن اتفاقية تعاون مع مؤسسة فورد – القاهرة

تصميم وتنفيذ مؤسسة **ناديا** للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع
رام الله – هاتف ٠٩١٩ ٢٩٦ – ٠٢

ما يرد في هذا الكتاب من آراء وأفكار يعبر عن وجهة نظر المؤلف ولا يعكس بالضرورة موقف مواطن - المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

شكر

كل الشكر والتقدير لكل من كان له/لها مساهمة، كبرت أو صغرت، في إخراج هذا الكتاب إلى حيز الوجود، وأخص بالذكر أعضاء اللجنة الاستشارية: الروائية مايا أبو الحيات، الشاعرة رجاء غانم، الكاتب زياد خدَّاش، الشاعر وليد الشيخ، وإلى روح الناقد والصديق محمد البطراوي (أبو خالد) رحمه الله.

وكل الشكر لتعاون كل من معن سمارة- صاحب مبادرة "بسطة كتابة"، ولبنى الأشقر- مديرة تحرير "صوت النساء". والشكر موصول للكتاب والكاتبات الذين تحفزوا للفكرة وانضموا إليها ....

وأخيراً الشكر لـ **مواطن**؛ المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية على دعمها الفكرة وتبنيها.

الإهداء

إلى كل من يتلبسه هاجس ويسعى إلى تحقيقه.

المحتويات

مقدمة ١١

المجموعة الأولى: نصوص في الحب وأمور أخرى ٣٣

من حدثني عنها ٣٥
أيمن حسونة

تستطيع أن تنير حياتك بشيكل ٣٧
أسعد صفطاوي

الفزاعة–الشجرة– قرن الغزال ٤١
أنس أبو رحمة

جرس منتصف النهار ٤٥
أمل جمعة

عقلي غرفة كراكيب ونصوص أخرى ٥٣
تغريد عطا الله

وهم الاختيار ٥٧
خليل معوض ناصيف

طير ٦١
عزة جبر

فقاعة ضوء ٦٣
مأمون أبو فرحة

طعم السنابل ٦٥
سامية عيّاش

يوميات حمار عربي ٦٧
رأفت آمنة جمال
تخاريف على الماشي ٧٣
محمد مجادلة
هايكو عشتارية ٧٩
علي حطاب
المجموعة الثانية: النساء وهمومهن ٨١
البذرة ٨٣
لبنى الأشقر
في محطة انتظار ٨٩
علا "محمد مهدي" فتحي
جريمة ونصوص أخرى ٩٥
فيروز شحرور
قطع من الذاكرة ٩٩
منال مقداد
ورد وزيتونة ١٠٣
عدلة مهيب النجار
"سوبر ومن" حياتي ١١١
هند باسم فرح
المجموعة الثالثة: هموم فلسطينية ١١٧
الرسالة الأخيرة ١١٩
آلاء إبراهيم جاد الله
لقاء ... ليس بمكانه ١٢٥
آلاء شريف قاسم

نزيل ١٠١ ١٢٧
بلال سلامة
الطريق إلى المحطة ١٣١
قسم عبد الفتاح حمايل
حتى إشعار آخر ١٣٥
جميل إبراهيم
فصل من ذاكرة ١٤١
رجاء رنتيسي
من سرق صديقتي من الدبابة ١٤٥
كوثر أبو هاني
النبش ١٥١
نعيم الخطيب
سلامة راسك يا ستي ١٥٧
علي عبيدات
معادن ١٦١
وسيم دويكات
انتظار ١٦٥
ديما أحمد صالح
نهاية البرزخ ١٦٩
رحمة حجة
السجن ١٧٣
رؤى محمد علي عباس
ولادة من رحم الموت ١٧٧
عزة عز الدين حسين

مقدمـــة

-١-

هذا الكتاب

هذا الكتاب ... خلاصة حلم رافقني، ملحاً، على مدار سنوات العقد المنصرم، وتحديداً منذ الاجتياح الإسرائيلي للمدن الفلسطينية في العام ٢٠٠٢، ما بعد الانتفاضة الثانية. ذلك الحلم الذي ابتدأ ضيقاً متواضعاً وخجولاً، قاصداً النساء اللواتي لم تسعفهن لا أوقات سياسية ولا دوائر اجتماعية أو اقتصادية في تلمس منبر لتوصيل كتاباتهن. ومع مرور السنوات العشر تلك، كان الوقت يضيق والحلم يتسع ليصبح الهدف نشر كتابات لأقلام جديدة من الجنسين.

هذا الكتاب .. صفحات من مخطوطات لأقلام جديدة نجح هاجسها في أن يتَرجَمَ عبر نصوص أدبية تنوعت ما بين القصة القصيرة، والقصيدة النثرية، واليوميات، والخواطر. كُتّابٌ من الجنسين، شباب في تجاربهم الكتابية، وإن تجاوز بعضهم الأربعين، استطعت أو استطاعوا، أو لربما استطعنا معاً أن ننجح في التواصل لنجمع جهودهم في الكتابة، ورغبتي في المساهمة في التعريف بهم، عبر هذا النشر. كتابات اجتهدتُ بتجميعها من كتاب وكاتبات فلسطينيين/ات، يخطون هذا الدرب متأملين أن يكون هذا النشرُ أول المشوار لعطاء سيطول ويتطور، بما يحشدون من مثابرة ذاتية، وبما يتأملون من توفره من دعم واهتمام ممن يعنيهم الأمر.

على أنه لم يكن لي أن أطمح، من خلال هذا الكتاب، إلى تقييم التجربة الكتابية الحالية في الأدب عند الأجيال الفلسطينية الجديدة منفصلة، أو

بالمقارنة، عن تلك التي كانت قبل عقدين من الزمن. وكذلك لا يمكن أن أدّعي أن هذا الكتاب يمكن أن يكون الشامل والكامل، ولا حتى بالنماذج، لما ينتج من إبداعات أدبية في أوساط الفلسطينيين على تنوع أماكن وجودهم. ومع أن ما يطرح من نماذج كجزء من كتابات أدبية، عبر هذا الكتاب، قد يعطي، ولو بالإطار العام، تصوراً لبعض من مستوى وتوجهات ومدارس، يمكن الاعتقاد أنها تسود أوساط الكتابة الأدبية الفلسطينية غير المنشورة بشكل عام. إلا أنه، وبالضرورة، لم يتسع هذا الكتاب، لا بالجغرافيا ولا بالنوع، ليشمل كل الإنتاج الفلسطيني لأقلام جديدة في مجال الأدب. فلا الوقت، ولا الإمكانيات التي توفرت للخروج بهذا الكتاب، كانت لتضعه ليكون الحكم ولا الحسم، لا في تقييم الوضع القائم في هذا المضمار، أو حتى في تحديد المواصفات التي تؤهل أي نص من النصوص الأدبية للنشر، سواء تلك التي وصلت للكتاب، أو أي من النصوص الأدبية.

مع **مواطن**؛ المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، كان للفكرة أن تتبلور، وليكون الهدف من هذا الكتاب "إعطاء الفرصة عبر هذا النشر لإسماع أصوات جديدة في عالم الأدب"، تلك الأصوات التي تتناوب كل المعيقات على حرمانها من فرصة لنشر إنتاجاتها. وعلى الهامش من ذلك، لربما ينجح الكتاب في عكس بعض من الحكاية الفلسطينية في التاريخ الحديث، عبر الكتابات الأدبية الفلسطينية على تنوع مصادرها وتعدد أنواعها.

وفي ذلك الإطار، وعلى تلك الرؤيا، كانت بداية المشوار.

-٢-

الهاجس

كان ذلك في أوائل شهر نيسان من العام ٢٠٠٢، وعلى وجه التحديد في اليوم الرابع عشر من اجتياح رام الله من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي، حيث عملت المدفعية، وعلى مدار أسبوعين من ذاك الشهر، على تدمير غالبية البنايات، وبخاصة في وسط المدينة. ظل منع التجول المشدد، خلال تلك الأيام، مفروضاً علينا ويمنعنا من التحرك حتى إلى خارج بيوتنا. في ذلك اليوم، وبعد المنع الطويل، أُعطينا ثلاث ساعات للتموُّن بالطعام والماء. خرجنا جميعاً إلى شوارع المدينة لنتفقدها بدمارها وبجرحاها وبشهدائها. عجت شوارع رام الله يومها بكل الوجوه المألوفة التي حملت ملامح تجاوزت الدهشة والغضب على ما أحدثته فوهات دباباتهم من تدمير همجي لوسط البلد. كان أبسط ما يمكن أن يقال عن ذاك التدمير، تفريغاً حاقداً بحق مبانٍ، في غالبيتها كانت غير مسكونة.

خرجنا بترددنا متوجهين إلى وسط البلد، كان علينا أن نمر بأصابعنا على المدينة، متخوفين مما سنجده من ملامح لصور تخيلناها على مدار ليال طويلة سهرناها، وصدى مدفعيتهم القادم من بعيد، ليخبرنا أن هناك من يعبث بمدينتنا بشوارعها وبمبانيها، ويحيلها بما رافقنا في حياتنا منذ عشرات السنين مع الأماكن من ذكريات، إلى دمار وخراب. كان لنا القليل من الوقت لنمر بالبنايات لنشهد صوراً حاولنا عبرها تفسير صدى أصوات المدفعية التي ظلت تحاكي لياليا على مدار أسبوعين متتاليين من الحصار والاجتياح. ما كان لنا أن نماثل أيّاً من صور الدمار مع ما لدينا من صدى في الذاكرة، بكل حال من الأحوال. فالتدمير كان عشوائياً، ويشعرك بأن في كل بناية كانت هناك معارك ومواجهات. كلها أُفتعلت، لا لشيء، فقط لتفرغ دباباتهم ذخيرتها معيقة ما أمكن مسار القادم من أيامنا. صور خرابات كنا نتحزر عن تاريخ

أحداثها، وكم كان مستحيلاً تحديد ما تناقلناه من قصص وتوقعات كتفسير لما كنا نسمعه من زعيق لدابتهم.

في الغالب، كغيرنا من الخارجين من حصار ومن منع تجول من سكان المدينة، ومن ما تخلله من رعب الشعور بالحرمان والفقدان، كان علينا أن نضمن الماء وشيئاً من طعام قبل العودة لمنع التجول ثانية. لذلك، ذهبت الساعتان الأولى والثانية من الساعات الثلاث التي رفع فيها منع التجول، في زيارة ما تيسر من محال تجارية، وفي الغالب في بحث حثيث عن جالونات بلاستيكية تعيننا على التزود بالماء من أقرب مصدر لمنزلنا. في الساعة المتبقية، كان لنا أن نعزز مخيلتنا بتوثيق بعض مما خلفته مدفعية الاحتلال من دمار وفوضى في شوارع رام الله.

كانت الدهشة الموغلة بالغضب تتوشح وجوهنا ونحن نعبر ببطء وبالسيارة الشارع الرئيس للمدينة، تركنا النوافذ الأربع للسيارة مشرعة في محاولة لاستيعاب المشهد البانورامي بكل تفاصيله. كنا نحدق بكل حواسنا، محاولين استنباط المغزى من وراء هذا التدمير غير المبرر، إلا لاحتلال همجي كهذا. في المقعد الخلفي، جلس ابننا الصغير، ذو الثمانية أعوام، على الجهة اليسرى مراقباً المشهد وهو يتوجس الرعب الذي ظل يعيشه على مدار ليالي الاجتياح الطويلة، وإلى جانبه كان ابننا الأكبر، يمد رأسه إلى الخارج حاملاً كاميرا فيديو، محاولاً أن يمارس هواية اكتشفها مع بداية الاجتياح. كانت المباني تمر من أمام كاميرته تباعاً، وفجأة، سمعنا صوتاً يأمرنا بالتوقف، اختلطت اللغة، كأنه بدأ بالعبرية وتلتها العربية المكسرة، ومن ثم تحدث بالإنجليزية للرد على اللغة التي استخدمها ابني، للرد عليه رافضاً أن يسلمه الكاميرا كما طلب منه، معبراً عن ذلك بحركة جسمه وبما صدر عنه من كلمات صارمة. كانت الدبابات بجنودها الذين وقفوا أمامها مدججين بالسلاح، تختفي في شارع فرعي ما بين البنايتين، حيث لم يكن من السهولة بمكان توقعهم في ذلك الموقع. وفجأة، وبدون مقدمات، وجدناهم في مواجهة الكاميرا، وكان الأمر بالتوقف وبتسليمهم الكاميرا. كان جدلاً مبطناً بالتهديد، يراوح تارة رهبة الجندي من أن يفقد السيطرة على الموضوع

في وسط تلك الحشود من المارة، وما بين القدرة على القيام باللازم إذا استمر ابننا في رفض إعطائه الكاميرا تارة أخرى. وفي موقف كانت عناوينه الرفض والإصرار، تبنيناه مرغمين مع ابننا الذي قاد الموقف، كنا جميعاً عائلة واحدة في مواجهة الجندي، الذي اضطر في النهاية أن يوافق على مخرج وضعناه له، "بأن الكاميرا لم تصور غير المباني وأن لا صور له في الفيلم"، وكان لتلك الحجة؛ سواء أكانت لتكون كافية للجندي المتوتر أم لا، أن تخرجنا جميعاً من ذلك الموقف، محتفظين بالكاميرا لنعود لمنع التجول.

مع هذه الحادثة، ورغبة في توثيقها وتوثيق كل ما شابهها من كتابات فلسطينية، كانت بداية التفكير في الكتاب ومحتواه.

-٣-

تفاصيل المشروع

تأتي النصوص عبر هذا الكتاب، متنوعة من حيث الشكل والموضوع وطريقة العرض. فعلى تنوع الكُتَّاب والكاتبات، تنوعت الكتابات ما بين "القصة القصيرة"، و"اليوميات"، و"الشعر الحديث". وامتداداً لعهد التكنولوجيا والانفتاح، تحضر، هنا في هذا الكتاب، مساهمات جاءت بأنواع جديدة من النصوص، التي قدمت الشعر في حلة جديدة، والتي تعرف بـ"القصيدة النثرية"، والتي تروي حكاية عبر أبيات من الشعر الخالي من القافية أو اللازمة. وعلى وزن العولمة والسهل الممتنع، والوجبات السريعة، تتميز بعض النصوص بالقصر المبالغ فيه. ففي الوقت الذي كانت بعض القصص القصيرة تطول عن المعتاد عن حجمها كقصة قصيرة، بدت بعض القصص والنصوص، وكأنها لا تتعدى الأسطر، أي ما يسمى بالعهد الكتابي الحالي بـ "القصة القصيرة جداً". لذلك، تبرز بعض المشاركات كمجموعة من القصص القصيرة للكاتبة نفسها أو الكاتب نفسه.

فلسطين الحاضرة دائماً في حياة كل فلسطيني بالذاكرة وبالحاضر والمستقبل، كانت العنوان والموضوع الأهم للنصوص، في مواضيع تنوعت ما بين الهم السياسي العام، إلى كتابات الحب والرومانسية، وما بين هموم النساء، إضافة إلى بعض من هموم يومية. على أن الفلسطيني الذي قد يكتب في الهم الفلسطيني أو في الرومانسية، وربما يوثق حياته اليومية، معتقداً أنه ينظر بعيداً عن قضية شعبه وهمومه، إلا أن نصوص هذا الكتاب، وبشكل عام، يسكنها الحزن والحصار وضيق المساحات.

والمرأة في هذا الكتاب لها التمييز كما دائماً، إن كان في ما تناولته من مواضيع، أو حتى في مستوى الكتابة ومواصفات الإبداع. فبعيداً عن ما يمكن أن أتهم به من تحيز، وبالجمع ما بين نصوص نساء غزة والضفة، وإذا ما تحدثنا عن المشترك بينهن كنساء، تسجل نصوصهن اختلافاً، بحيث، لم يغلب طابع الهموم الإنسانية الشخصية والنسوية على همومهن في إطار الوضع السياسي العام فحسب، وإنما أيضاً سجلت نصوصهن سرداً للحكاية وللواقع الذي نعيش برؤية جديدة تستحق التوقف عندها في مناسبات أخرى.

وعلى الرغم من أن النصوص تمادت في تجاوز العام والسياسي، والانعتاق من الهم الوطني، لتتناول الخاص والحب والرومانسية، فإن تلك النصوص لا تعكس إلا براءة التجربة وخجل المراهقة. فإلى جانب ما عبَّرت عنه الكتابات بمجملها من تواضع في اللغة وأسلوب الكتابة، وفيما انعكس من تجربة حياتية عبر السطور، ففي الحب والمرأة والسجن والأسر، وفيما كتب عن فلسطين، تستشعر انغلاق ما يمتد من أمامه من أفق، ومن براءة للتجربة. فما الكتابة إلا توثيق مبدع لمسارات حياة بكل ما يعتريها من تراكم لحيثيات وتجارب، تسجل التمييز والاحتراف.

وعلى الرغم من أنه قد لا يحق لنا أن نفرز النصوص تبعاً للموضوع، لتداخلها معاً وترابط الواقع الفلسطيني بهمومه الشخصية بالهم العام، وتسبب الهم السياسي العام بكثير من هموم النساء بشكل خاص، فإننا

فضلنا أن نجمل ما جاء من نصوص من خلال ما عبّرت عنه من محتوى، إلى ثلاثة محاور رئيسية، الأمر الذي توجب وضعها ضمن ثلاث مجموعات بناء على تلك المحاور، وتبدو المجموعات كما تم تصنيفها ضمن العناوين التالية:

١. المجموعة الأولى: نصوص في الحب وأمور شخصية أخرى.
٢. المجموعة الثانية: النساء وهمومهن.
٣. المجموعة الثالثة: هموم فلسطينية.

المجموعة الأولى: نصوص في الحب وأمور شخصية أخرى

شحيحة تبدو الحياة الخاصة في فلسطين بتفاصيلها وهمومها بعيداً عن السياسي، إذا ما تم رصدها عبر النصوص التي اُعتبرت أنها تُعبّر عن همومنا الحياتية اليومية. فلا تنوعَ ولا تخطيَ للمحظور، وإذا ما كان هناك بعض الجرأة، فلم تتجاوز بعض الكلمات هنا وهناك، التي لا تعبر إلا عن ظن نمطي بأن بعض مصطلحات الجنس ودلالات للمرأة هي عنوانها. وعلى الرغم من أنه يصعب الفصل ما بين السياسي والإنساني أو الشخصي في فلسطين، فإن بعض النصوص حاولت أن تتخطى ذلك الخلط والتداخل، وأن تقدم لنا شيئاً من هموم عبر مجموعة قليلة من النصوص، التي إن تمحصنا بها لوجدنا أنها لا تخلو من آثار لما نعيشه من واقع احتلال يقبع في يومياتنا وتطلعاتنا لأي مستقبل. كما المجتمع الفلسطيني بخطاباته المحافظة، ظلت النصوص في هذه المجموعة تنظر إلى البيت الفلسطيني بساكنيه وروّاده من النافذة، دون الولوج إلى البيت والنبش في تفاصيله وخباياه التي لن تنجح كل عين في تحسسها وإظهارها بإبداع، بعيداً عن السرد والنمطية. العلاقات الشخصية على أنواعها، ظلت تراوح الرومانسية والمثالية التي تليق بكتب بعمر أصحابها. النصوص الشخصية، بما قدمته من نماذج، ما هي إلا تعبير عن ضيق الحياة التي يعيشها الفلسطيني في ظل الحصار والحواجز والاختصار.

المجموعة الثانية: النساء وهمومهن

كما في الحياة الفلسطينية، كذلك في النص، برزت هموم المرأة الفلسطينية حيث يستعصي عزلها عن الهم العام ونتائجه. فالمرأة الفلسطينية، بالأدوار والنتائج، تظل الصفحات الأوسع لكي تُعبر عمّا يقع عليها من قهر وحرمان وتراجع لحقوقها الإنسانية منها والسياسية. وقد تكون المرأة هي المركز والمرتكز ليس لهذه المجموعة فحسب، بل تبرز كجزء في جميع المجموعات كعنصر محرك وأساسي. وعلى الرغم من ذلك، فقد برزت الكتابات الخاصة بهموم المرأة بشكل خاص ومميز. تلك الهموم التي ما هي إلا تعبير عن تكرار لما تم طرقه من قبل كتابات أدبية عديدة سابقة. فقد تكون النصوص الواردة هنا لم تغفل التمييز الذي تعانيه المرأة منذ ولادتها حتى مماتها، وكذا العديد من معاناتها من العنف والتعنيف وتجاوز حقوقها الإنسانية، ولكن بقيت تلك النصوص في طرقها لما لهموم المرأة، تكبلها المحظورات من التعمق في متطلبات النساء ومشاعرهن وتطلعاتهن. كما تبقى النصوص خجولة تخاطب المرأة الأم في غالبيتها، ولا تعكس صراعات وتنوعاً ثقافياً يعيشه المجتمع الفلسطيني.

فصاحبات النصوص من النساء هنا، تطرقنَ، وبطبيعة الحال، عبر نصوصهن، إلى مواضيع كالحب، والزواج، والارتباط، وإنجاب البنات ... الخ. وبالإضافة إلى ذلك، فقد حضرتنا بعض المواضيع التي طرحت الحب والعلاقات الجدلية ما بين النساء بعضهن ببعض، وبمنظور جديد نوعاً ما. ولم يخلُ الأمر من طرح موضوع العلاقة مع المجتمع بأطرافه المختلفة، وهنا كانت ملامسة الواقع فيها التحسس النسوي المختلف والخاص. فقد كانت لكاتبات غزة، على وجه التحديد، مخاطبة الحصار والمحتل بأدواته، في توليفة حملت عمقاً في الرؤية وسخرية قدرية في مكان آخر.

المجموعة الثالثة: هموم فلسطينية

عبّرت هذه المجموعة عن المساهمة الأكبر لما وصلنا من نصوص، تميزت كذلك بالتنوع بمواضيعها وبما سجلته من أحداث لمراحل تاريخية. فبالإضافة إلى رصد قمع الاحتلال بمظاهر القمع المتداولة من حصار

وحواجز وسجن وقتل وتدمير، كذلك تميزت هذه المجموعة بتسجيلها حيثيات يومية لمراحل تاريخية بوقائعها وشخوصها. فإلى جانب ما توثقه نصوص هذه المجموعة من يوميات يعيشها الفلسطيني منذ الانتفاضة الثانية بفقدان الأمان والتواصل، كذلك فإن بعض النصوص سجلت يوميات من الانتفاضة الفلسطينية الأولى التي كانت في الفترة التاريخية (١٩٨٨-١٩٩٠). كما لم تغفل النصوص النضال الفلسطيني على أنواعه، والمتداول، بدءاً بالحجر، ومروراً بالكفاح المسلح، ومن ثم انتهاءً بالعمليات الانتحارية. في هذه المجموعة، برزت أيضاً مساهمة المرأة ليس ككاتبة بشكل خاص فحسب، بل أيضاً فيما عكسته النصوص من معاناة مضاعفة تعيشها بحكم الأدوار المضاعفة التي تقوم بها في مجتمع فلسطيني يعيش تجاوزاً لكل الحقوق، وعلى رأسها حقوقه السياسية. ففي النصوص، تبرز المرأة بمعاناتها كأم حين تلد على الحواجز، أو يُسجن ابنها أو زوجها، وكزوجة حين يستشهد زوجها، وكسجينة تعاني السجن هي نفسها.

إن كانت نصوص هذه المجموعة نجحت في عكس ملامح معاناة الفلسطيني في ظل الاحتلال، فإنها أيضاً بقيت على التخوم، ولم تغص في العمق فيما هو مطروح من تناقضات ونقاشات ورؤى على الساحة الفلسطينية. كذلك ظلت المرأة فيما برزت من أدوار تراوح النمطية والتقليدية وتضعها في أدوار أم المناضلين أو زوجتهم.

في أوقات مضت، خلال عقود ما بعد النكبة بشكل عام، وما بعد نكسة حزيران بالتحديد، اغتنت جعبة الأدب الفلسطيني بأقلام مميزة خلّدت نفسها عبر ما أبدعته من نصوص تظل المرجعية الأحلى في مسيرة تتنوع فيها المشاق والمعاناة.

وتبقى التجربة الفلسطينية بكل أبعادها الحياتية، وبما حملت من تراكم لتجارب معاناة وثورة ونضال وهموم ترحال وشتات، في الوطن والأقطار العربية وشتى بقاع الأرض – الهاجس الذي لم يفارق المبدع الفلسطيني في إبداعاته على تنوعها. ففي الثقافة والفنون، على أنواعها،

كان السرد المتنوع للتجربة الفلسطينية ولما يعايشه الفلسطيني ولما يريده. وفي الأدب على أنواع نصوصه، كتب الفلسطيني للوطن وعن الأرض، وعن الثورة وعن الحرية، وعن هموم يومه في مقارعة المحتل وفي تجذير صموده، كتب كذلك عن خبز أولاده وحربه اليومية ليحفظه لهم، وعن أحلام العاشقين وعيون الصبايا وورود الحب والمحبين. كتب أبناء فلسطين ليحدثوا العالم عن بحر فلسطين، وعن قمرها وعن برتقالها في حيفا ويافا وتلال الجليل. كتابات كُتبت لتبقى ولتدور العالم ممتحنة الضمير الإنساني، ومتحدية ما تبقى من أحرار العالم لنصرة عدالتها.

جاء الإنتاج الأدبي لمبدعين فلسطينيين ما زالت كتاباتهم تعيش معنا في ذاكرتنا وما بين مقتنياتنا الثمينة، وخطوا على مدار حياتهم نصوصاً حفظت لنا تاريخاً من الذكريات، بآلامها وآمالها، بانكساراتنا وانتصاراتنا، بقسوة أيام كانت في جعبة أجدادنا وأخرى حاضرة معنا، وفي عظمة وجبروت شعبنا بأبطاله الذين تعرّفنا عليهم في حياتنا، وهؤلاء الذين تعرفنا عليهم عبر رواية من عرفوهم. تلك النصوص التي كانت لنا، وستكون لأجيال قادمة، جزءاً من مرجعية لملامح هوية وذاكرة تحفظ ملامح الوطن والقضية من النسيان، وتعد بكتّاب جدد يكملون المسيرة.

رؤيا وأدوات

إن هذه التجربة قد تكون، بما اعتمدت من منهجية وأدوات ووسائل للتواصل مع شركاء الوسط الأدبي، قد حاولت، ومنذ البداية، أن تتوخى الموضوعية والتنوع والتعددية والتوسع الجغرافي، واعتماد المهنية، وتعميم الفرصة، وإلى آخره من أسس ومبادئ وتوجهات ربما نجحتُ في تحقيق ما أمكنني منها خلال مسيرة التجربة، وفي ما توصلتُ إليه من نتائج. وبالبناء على تلك المضامين والتوجهات التي وضعت كأسس وكإطار عام للمنهجيات والأدوات التي اعتمدت لإنجاز هذه التجربة، أدرج فيما يلي أهم تلك المنهجيات التي اعتمدت؛ بدءاً من مرحلة التخطيط حتى إنجاز التوثيق

أولاً. منذ مرحلة التخطيط، اعتمدت هذه التجربة على رؤية وأهداف ووسائل لتحقيقها ضمن إطار واضح ومهني وموثق في وثيقة مشروع أعد خصيصا لبلورة الفكرة، وما اعتمدت عليه من توجهات ومرجعيات، حيث لخصت تلك الوثيقة المشروع بأهدافه وما يطمح إلى تحقيقه بما يلي:

"تجميع كتابات من نصوص أدبية لكتاب ناشئين من كلا الجنسين، ومن ثم نشرها في كتاب كمقدمة، بحيث تعطى الكاتبات والكتاب من خلال النشر الفرصة لإسماع أصوات الذين لا يجدون الفرصة لدخول عالم الكتابة والنشر، إما لأسباب مادية، وإما لأسباب تتعلق بعدم وجود الجرأة لنشر إنتاجهم، وإما لعدم قدرتهن على الوصول للمنابر المناسبة. تلك النصوص التي تتطرق لتوثيق الواقع الفلسطيني بأبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ الانتفاضة الأولى عبر الكتابة الأدبية الإبداعية. وسيتم التوجه للكتاب والكاتبات عبر الأطر النسوية والثقافية والمؤسسات المختلفة، أو من خلال وسائل أخرى ستتحدد لاحقاً تبعاً لما يستجد من عراقيل".

كما تضمنت وثيقة المشروع أيضاً خطة عامة تبرز الوسائل والأدوات التي سيتم الاعتماد عيها في تنفيذ المشروع، إضافة إلى المؤسسات الشريكة التي سيقوم المشروع بالتواصل معها، والاستفادة من خبراتها ومن قاعدتها في هذا المجال وغيره. بالإضافة إلى ما احتوت عليه وثيقة المشروع من منهجية وأدوات مهنية كإطار للتخطيط للمشروع، فقد تضمنت أيضاً إطاراً مفاهيمياً ورؤيا وضعت نصب أعيننا توجهات طموحة لخوض تجربة مميزة وخاصة، تعمل على توفير نصوص أدبية توثق التجربة الفلسطينية على اتساع أبعادها، حيث لا حدود ولا محرمات، الأمر الذي انعكس في التنفيذ لاحقاً وعلى جميع المرحل.

ثانياً. وفي الإطار نفسه، كانت التوجهات التي اعتمدناها عند التنفيذ، هي نفسها التي كانت منذ البداية، فقد وضع التنفيذ في إطار الشراكة والعمل الجماعي والبناء على التجارب والتواصل مع الأطر والمؤسسات والأشخاص الناشطين في هذا المجال. وفي الحديث عن آليات تجميع

الكتابات والتنسيق مع المؤسسات، كان للتجربة أن تخاطب منهجية التجربة والخطأ من جهة، والمرونة في التحول السريع إلى آليات أخرى أكثر تجاوباً من جهة ثانية. فبناء على ما تم اعتماده في وثيقة المشروع، وفي ما خط من خطة عمل أولية لاحقاً، كان من المفترض أن يتم التنسيق مع مؤسسات أهلية وأخرى أكاديمية، وربما حكومية. ولعل هذا ما حاولنا أن نعتمد عليه في البداية، ولكن التجاوب الشحيح من قبل بعض المؤسسات التي توجهنا إليها، أعادنا لنبحث عن آليات أخرى. ففي البداية، اتسعت قائمة المؤسسات التي توقعنا أن يمنحنا المشروع فرصة لمحاكاتها وللتأسيس لعلاقة قد تحملنا لاحقاً لتشكيل شبكة عمل نساهم من خلالها جميعاً بإحداث شيء من الحراك في هذا المضمار. ففي إحدى زوايا هذا المشروع، قبع هدف متخف سعى بطريقة ما إلى التحفيز على الحراك والتشبيك والتطوير. فمنّ خلال هذه التجربة، نجحنا بالتأكيد، في شيء واحد؛ ألا وهو تجميع كتابات عبر مبادرات هي قائمة وتعمل على أهدافنا نفسها، كل على انفراد، وربما سنعرف لاحقاً أننا ساهمنا في شيء من التحفيز!! تلك المبادرات التي بدأ بعضها مسيرته بالتوازي مع تجربتنا، أو ربما قبلها بقليل، لهذا فقلة الأبواب التي فُتحت لنا من المؤسسات، جعلنا ننوع التنسيق ونتوجه إلى مبادرات قد لا تحمل طابع المؤسسات، وإنما بعضها مبني على أفراد وأخرى مجموعات من الناشطين والناشطات في أوساط الكتابة والأدب.

فبالإضافة إلى المؤسسات التي توجهنا عبرها لجمهورها، ومؤسسات أخرى استفدنا من نشاطات قامت بها لتستقطب كتابات وإبداعات أدبية، لم نهمل الإنتاج والمشاركين عبر بعض الصفحات الثقافية، وبخاصة تلك التي كانت تقوم بمبادرات لأهداف تجربتنا نفسها أو تشبهها، وكذلك خاطبنا الصحف والمجلات التي تستهدف أقلاماً شابة مبدعة، وأخيراً لجأنا لأهم نتاج للعولمة، ألا وهو الإنترنت، حيث قمنا بالتواصل مع مجموعات الشباب من الكتّاب الهواة عبر صفحاتهم على الفيس بوك، ومن خلال صفحات الأكثر شعبية من الكتّاب الذين كان بعضهم معنا في اللجنة الاستشارية، وآخرون تحمسوا للفكرة وساهموا في نشرها

وتمريرها عبر صفحاتهم إلى إطارهم الصديق. في المحصلة، يمكن حصر الجهات التي قمنا بالتنسيق معها ضمن حملتنا هذه فيما يلي:

- "طاقم شؤون المرأة"،[١] حيث تم التنسيق مع الطاقم للتواصل مع الكتّاب والكتابات الذين/اللواتي يواظبون/ن على الكتابة عبر صحيفة **صوت النساء**،[٢] التي تصدر عن الطاقم كملحق أسبوعي أحياناً، وشهري أحياناً أخرى مع جريدة **الأيام الفلسطينية**.

- بنت الحملة، حملة تجميع النصوص الأدبية، أيضاً على نتائج مسابقة قام بتنظيمها "طاقم شؤون المرأة الفلسطينية"، أطلق عليها اسم "عايدة"،[٣] حيث تم ترشيح النصوص العشرة الأولى من قبل الطاقم للحملة، وذلك لإعطائهم فرصة للنشر ضمن المواصفات والمعايير الخاصة بحملتنا.

- عبر التنسيق مع المبادرة الأدبية التي حملت اسم "بسطة كتابة"،[٤] التي تنشر بشكل دوري عبر الصفحة الثقافية كجزء من صحيفة **الأيام الفلسطينية**، حيث تأتي تلك الصفحة كجزء من الجريدة كل يوم ثلاثاء.

- كذا تم التنسيق مع مجلة **فلسطين الشباب**،[٥] التي تصدر بشكل شهري متضمنة العديد من الكتابات الشبابية التي تبحث عن فرصة للولوج إلى مسرح الكتابة والإبداع بشكل عام، حيث تم ترشيح مجموعة من الكتّاب والكاتبات من قبل إدارة تحرير المجلة للاتصال بهم ودعوتهم للمشاركة في الحملة، هؤلاء الذين ربما انطبقت عليهم معايير الحملة، وذلك بناء على ما ارتأت إدارة تحرير المجلة.

- من على صفحات "الفيس بوك"، توفر للحملة أكثر من صفحة لأصدقاء تحمسوا للفكرة، وآخرين هم أصلاً ناشطون في الحراك الحالي الحاصل في أوساط الشباب فيما يتعلق بالأدب والإبداع. فمن تلك الصفحات كانت بعضها لكتاب أو صفحات إلكترونية حوارية أو عبر مواقع لمبادرات أدبية أو حتى عبر الإطار الصديق الشخصي على صفحات شخصية على "الفيس بوك".

- كذلك كان هناك تنسيق مع مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي،[٦] وذلك بهدف التواصل مع كتاب ملحق "يراعات"؛[٧] الملحق الشهري الذي يصدر عن المؤسسة ويوزع مع جريدة **الأيام الفلسطينية**.

ثالثاً. تشكيل لجنة استشارية من الكتاب والكاتبات ومن أصحاب الخبرة في عوالم الكتابة والإبداع وما لهذه العوالم من تفرعات. جاء تشكيل هذه اللجنة ليتم الاعتماد عليها كمرجعية في تحديد المعايير للنصوص الأدبية في مرحلة البحث، وعند تقييم النصوص واحتيارها. لذلك، فقد تم استقطاب مجموعة من المستشارين من الكتّاب والكاتبات في الأدب الذين أيضاً يمتلكون خبرات تصب في التمكين وفي التقييم على صعيد الأدب والإبداع. وتشكلت اللجنة من كتّاب من تخصصات الشعر والقصة القصيرة والرواية والكتابة الإبداعية، إضافة إلى ناقد في ذلك المجال أيضاً. فأعضاء اللجنة الاستشارية الذين عملوا بشكل مباشر على مراحل التجربة، يشكلون أعمدة مميزة ومهمة، ولهم مواقع مهمة في الوسط الذي يبدعون فيه، حيث الإبداع الفلسطيني بهمومه وطموحاته هاجسهم، ولبعضهم هو فلك حياتهم. كما لم يغفل تشكيل اللجنة التمثيل النسائي من حيث العدد والنوعية، ولهذا فقد ضمت اللجنة عضوتين من الكاتبات الفلسطينيات، اللتين تمثلان التميز في الوعي النسوي وفي الإنتاج الأدبي. إضافة إلى ذلك، ضمت اللجنة في عضويتها ناقداً أدبياً له من الخبرة في النقد والأدب سنوات وتجربة طويلة.

رابعاً. واعتماداً على تلك اللجنة المتنوعة والضليعة في الكتابة والإبداع، تبلورت التوجهات لكيفية الوصول والتواصل مع القنوات التي سيكون لها أن توصلنا إلى أكبر مشاركة ممكنة من الكتّاب والكاتبات الجدد. وعبر الاجتماعات والنقاشات الطويلة والمتنوعة، الفردية منها والجماعية، حضرت الاقتراحات والتصورات حول الجهات التي من الممكن أن يكون لها مساهمة في التشبيك مع الأقلام الجديدة، والتي من المفترض أنها تتواصل معها ضمن عملها في مجال الكتابة والإبداع أو في مجالات تنموية أخرى. وكان من أبرز الاقتراحات المقدمة توسيع المشاركة،

وفتح الباب أمام جميع المشاركات الأدبية على أنواعها، من شعر ونثر وما يأتي بينهما أو ما يجمعهما معاً وحتى النثر القصير (القصة القصيرة) والطويل (الرواية)، والشعر الحر، واليوميات، والخواطر، والى آخره مما يمكن أن يندرج تحت الكتابات الأدبية. إضافة إلى ذلك، أطلق العنان للمشاركة ضمن حدود جغرافية اتسعت لتصل إلى اللاحدود. كما أكدت المعايير في توسعها على الانفتاح والتعددية الثقافية والفكرية في ما يسجله ذلك النص من تجربة فلسطينية حياتية شاملة بمفهومها الواسع والإنساني والحضاري. وبالمجمل كانت المعايير التي أطلقناها لنعلن عن المشروع ولنستقبل في إطارها الكتابات كما يلي:

١. أن يكون النص الأدبي (نثراً، أو قصيدة نثرية، أو شعراً حراً) على أن تعطى الأولوية للنثر والقصيدة النثرية.

٢. يعتبر عمر ١٨ سنة الحد الأدنى للمشارك/ة ولا حد أعلى للعمر.

٣. على المشارك/ة أن يكون فلسطيني الأصل، وليس بالضرورة أن يسكن فلسطين (فلسطين المحتلة، مناطق الـ٤٨، فلسطين الشتات والعالم).

٤. يمكن أن تكون المشاركة يوميات أو مذكرات على أن تحمل مواصفات النص الأدبي.

٥. سيتجاوز اختيار النصوص كل أنواع التحيز الإيجابي أو السلبي، وسيتم التعامل مع النص كنص بغض النظر عن جنس كاتبه أو كاتبته.

٦. يتم إقرار النصوص بشكلها النهائي من قبل أعضاء لجنة استشارية، تتكون من كتّاب وكاتبات في الأدب.

٧. على المشارك/ة أن لا يكون من الأسماء المعروفة في عالم الأدب، أو قد سبق ونشر له/ا أي نص أدبي في كتاب بشكل فردي.

٨. أن لا يكون النص الأدبي قد سبق وتم نشره في كتاب أو جريدة.

٩. يمكن إرسال أكثر من نص للكاتب أو الكاتبة، وذلك لإمكانية نشر أكثر من نص إذا تم إقرار ذلك من قبل اللجنة الاستشارية.

١٠. يتم إرسال نبذة عن المشاركة أو المشارك ببضعة أسطر للتعريف بصاحب/ة النص.

نتاج التجربة

١. في إطار منهجية العمل تلك، وفي إطار تعاون من اللجنة الاستشارية، وحماسة من أكثر من جهة، كان لتوجهاتنا أن تنجح في تجميع ما يقارب الـ ١٠٠ (المائة) نص، التي تنوعت ما بين أجزاء من روايات لم تنشر، وقصص قصيرة، وقصائد نثرية، وقصائد من الشعر الحر، ونصوص حملت الخواطر، وأخرى اليوميات لذكريات يعود بعضها لسنوات بعيدة. واعتماداً على المعايير، وخبرة اللجنة الاستشارية، تم اختيار ٣٢ (إثنين وثلاثين) نصاً، تنوعت في تقييم اللجنة لها، إلا أنها في غالبيتها حظيت بموافقة جميع أعضاء اللجنة، على أن بعض تلك النصوص جاءت كنتيجة لتزكية من بعض أعضاء اللجنة وليس بكامل أعضائها.

٢. أما مواضيع النصوص، فقد عكست تنوعاً ملحوظاً، مسجلة التجربة الفلسطينية الحياتية عبر مواضيع يحملك بعضها إلى سنوات نكبة فلسطين العام ١٩٤٨، وأخرى لذكريات نزوح ١٩٦٧. وغيرها من النصوص تُحدثنا عن الانتفاضة الأولى، والعديد منها يتطرق إلى السجون والأسرى، والبعض تناول تجربة الاغتراب والمعاناة الفلسطينية ما بين حدود الدول العربية، ولم تخلُ تلك النصوص من هموم المرأة الفلسطينية، الاجتماعية منها والسياسية. وتستعرض نصوص أخرى تجارب إنسانية حول الحب والزواج والطلاق وتعقيدات العلاقات الإنسانية في المشهد الفلسطيني. ولا تغفل المشاركات، في نصوص جميلة ومميزة، التجربة الفلسطينية على تنوعها في كتابات من غزة.

٣. ولعل التنوع في المواضيع، جاء من تنوع المكان. فإن لم تتسع المشاركة على اتساع ما أشرع لها من أبواب لتشتمل على كتابات من أماكن الوجود الفلسطيني على مستوى العالم كافة، فإن النصوص التي وصلت للحملة، بغالبيتها، كانت من المناطق الفلسطينية المحتلة بأجزائها الثلاثة (الضفة الغربية، غزة، فلسطين ١٩٤٨). وقد تنوعت المشاركات على تنوع البيئة التي يسكنها الفلسطيني، لهذا فقد جاءتنا النصوص من المدن والمخيمات والقرى. كما أن جزءاً من المشاركات عبرت عن تنوع في أصول كاتبيها كلاجئين تعود أصولهم إلى حيفا ويافا واللد والقدس وغيرها من مدن فلسطين التاريخية. على أن المشاركة من مناطق فلسطين التاريخية كانت قليلة، كذلك الأمر فيما يتعلق بخارج فلسطين، فقد كانت المشاركة محدودة وقليلة، إذ اقتصرت على مشاركات لفلسطينيين يسكنون الأردن، وربما يدرسون فيها، وأخرى لفلسطينيين من إحدى الدول الأوروبية.

٤. من الأقلام النسوية، كانت المساهمة الأكبر في النصوص التي وصلتنا، سواء عبر القنوات التي نسقنا معها، أو تلك التي أرسلت بشكل شخصي. ولعل ذلك كان السبب وراء تفوق عدد نصوص النساء التي تم اختيارها للنشر في الكتاب، على تلك التي تعود للرجال. فمن بين الـ٣٢ نصاً التي تم إقرار نشرها في هذا الكتاب، هناك ١٨ نصاً منها للنساء.

في كل الأحوال، لم تخلُ هذه التجربة من المعيقات التي في غالبها جاءت طبيعية بحكم التعود على التفرد أحياناً، أو لعدم التجاوب السريع أحياناً أخرى من قبل بعض المؤسسات أو الأفراد، الأمر الذي قد يعود للمسؤوليات والأعباء التي تقع عليهم، في الوقت الذي تحمل هذه الحملة طابع التطوع، حيث تبتعد عن القدرة على توفير الموازنات مقابل التعاطي معها. تلك المعيقات التي إن لم تلغ التجربة، لكنها أعاقت، ربما، الوصول لجمهور أوسع، كان من الممكن الوصول إليه عبر المؤسسات المتواصلة مع قاعدة جماهيرية في القرى والمخيمات. وربما أيضاً، لم تكن لتترك تركيز الجهد على تفاصيل صغيرة أنهكت

عملية التجميع، ما قلل من الفرصة للتعامل مع النصوص بتحليل أوسع وأعمق، وبشكل جماعي بمشاركة اللجنة الاستشارية، ولتقديم تعقيبات مناسبة.

هيفاء أسعد

الهوامش

[١] (WATC) تأسس طاقم شؤون المرأة في العام ١٩٩٢ كتحالف من ثلاث منظمات نسوية وعدد من الشخصيات المستقلة. تطور الطاقم كشبكة تضم سبع منظمات وأطر نسوية، إضافة إلى المراكز النسوية المتخصصة والناشطات النسويات. ومع الوقت، تحول الطاقم إلى ائتلاف نسوي يعمل من أجل تحقيق أجندة الحركة النسوية، ويعمل باستمرار على توسيع قاعدته. وفي هذه المرحلة من تطوره، بدأ الطاقم يأخذ منحىً لامركزياً، حيث بدأ العمل على تشكيل لجان مناطق تتشكل من عضوات الجمعية العمومية في المناطق البعيدة، وتقوم بقيادة العمل في المناطق البعيدة عن المركز. ومن الجدير بالذكر، أن مجلس الإدارة هو هيئة منتخبة من الجمعية العمومية ومسؤولة أمامها: www.watcpal.org.

[٢] **صوت النساء** صحيفة نسوية تصدر عن طاقم شؤون المرأة، مضى على صدورها ثلاثة عشر عاماً. تعنى الصحيفة بقضايا المرأة الفلسطينية في المجالات المختلفة، وتعبر عن همومها وتطلعاتها، وتشكل حالة نقاش واسعة في المجتمع الفلسطيني، وهي تحمل رسالة تجاه المرأة وتقويتها، للوصول بها إلى وضع تكون فيه المرأة فاعلة وقوية، من خلال إلقاء الضوء، في كل عدد، على هموم المرأة في القطاعات المهنية والطبقية والعمرية المختلفة، كما تظهر نجاحات المرأة ونضالها للتقدم. **صوت النساء** تعبر عن صوت المرأة المقهورة والمضطهدة، صوت المرأة القوية والناجحة أيضاً، نحاول فيها أن نمسك بيد المرأة الفلسطينية للوصول عبر سياسة مركزة للعمل على قضاياها المختلفة.

[٣] مسابقة "عائدة"، قام على تنظيمها طاقم شؤون المرأة الفلسطينية بمناسبة الثامن من آذار وعيد الأم من العام ٢٠١٠، وقد استهدفت الكتاب الهواة من فئة طلبة الجامعات الذين ما زالوا على مقاعد الدراسة في مختلف أماكن وجودهم: watc_networking@palnet.com.

[٤] هذه البسطة، هي ليست سوى مقال أسبوعي يُنْشَر ضمن الصفحة الثقافية في جريدة الأيام كل يوم ثلاثاء، تحتوي على اسمين أو ثلاثة من أسماء كتّاب الهامش الذين لم يتسنَّ لهم الحضور بكتاباتهم والبروز بها لأسباب عدة، فظلّوا مغمورين منسيين لا أحد يلتفت إليهم ولنصوصهم، فيأتي هذا المقال لتعريف الجمهور بهم وعرض بعض من أعمالهم، في محاولة لإزاحتهم عن الهامش وإشراكهم في الحياة الثقافية الفعلية: http://arabic.pnn.ps/index.php?option=com_content&task=view&id=82076&Itemid=0.

[٥] **فلسطين الشباب**؛ هي مساحة مفتوحة لكل الشباب الفلسطيني؛ سواء أكانوا داخل فلسطين التاريخية المحتلة، أم في الشتات، مهمتها أن تحتضن إبداعات الشباب في جميع الحقول، بالإضافة إلى كونها مساحة مفتوحة لكل الشباب الفلسطيني، ليتكلموا عن أنفسهم وقضاياهم ويعبروا عن آرائهم بكل حرية. هي ليست مجلة للكتابة المحترفة فقط، على الرغم من وجود الكتابة المحترفة دوماً على صفحاتها، وليست مجلة أدبية فقط، على الرغم من توفر الأدب فيها، بل مجلة لمن يريد من الشباب أن يعرض تجربته، أو أن يقدم رؤيته على هذه الصفحات: http://www.filistinashabab.com.

[٦] مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي هي مؤسسة مجتمعية تربوية غير هادفة للربح، تأسست العام ١٩٨٩، كتجاوب طبيعي وضروري لبعض المعطيات والحاجات في المجتمع الفلسطيني، وأهم هذه الحاجات حاجة الناس إلى اكتساب وسائل تساعدهم على التعلم والإنتاج: www.tamerinst.org.

[٧] بدأت فكرة الملحق من ما يسمى بصفحة "نخلة الشبر" التي كانت تصدر في جريدة القدس اليومية، وبعد تفكير مطول وتقييم للتجربة، تم تطوير فكرة إصدار صفحة أسبوعية وملحق شهري للشباب بهيئة تحرير مكونة من الكتاب والكاتبات الصغار. وفعلاً، في شهر آب من العام ١٩٩٦ اجتمعت هيئة التحرير لأول مرة، وكانت تتكون من ٨ فتيات وفتيان تتراوح أعمارهم ما بين ١٤ – ١٧ سنة، وقرروا الشكل العام للمشروع واسمه (يراعات)، وبدأنا العمل، وصدر أول ملحق في شهر تشرين الثاني من العام ١٩٩٦ وما زالت الصفحة تصدر بشكل أسبوعي حتى يومنا هذا: http://www.almoultaqa.com/Serene_Huleileh.aspx.

المجموعة الأولى

نصوص في الحب وأمور أخرى

مَن حَدثني عَنها

أيمن أ. حسونة*

لَم تَغب سوى مِقدار غَفوةِ طفلِ مُشاكس ... فَطيفها كانَ أقوى من حضور أخريات امتلأن بصَخَبٍ فَارغ!!

لأنها كانت تتراءى لي، حينَ أفيق من حُلم وَتَري .. فأضحت أعصابي كَمن يَتهَدلُ على سَيف من نار .. ولَم تَكن طَلّتهًا في الحُلم سوى ثوان مَعدودات ... كأنها تُطبِّقُ مًا أفادَ به العلماء ... بأنَّ الحُلمَ ليسَ سوى لَمحة!!

وكانت اللَمحةُ منها ... حَياة!!

بعَفو غَريب غَفرتُ غيابَها .. مع أنّي ما كُنتُ معتاداً على ممارَسةِ الدورِ الإلهَي ... وَحدهُ الله يَغفر للبشر خطاياهم ... وأنا لستُ سوى ... من بَني البَشر!!

رُبما لَم تجد خيراً من حضورها الكَثيف .. إلاّ أن تَختبئ خلفَ شجرةِ نور ... لِتَعمي عيناي عَن سواها .. فَكنتُ أنا ضَحيةَ نورَين ... خيالهَا وغيًابها.

---

* من مواليد الأردن العام ١٩٨٤، نشأت بين جنين وعمان، الأمر الذي كان لهُ الأثر الكبير للتنوع في مراحل الطفولة، أنهيت دراستي الثانوية والجامعية في عمان، تخصص مالية ومصرفية العام ٢٠٠٦، وتنقلت في مواقع وظيفية عدة، والآن وصلت إلى مسؤول الأبحاث والتطوير في مجموعة مصانع حديد في عمان.

لأكفَّ عن الحديث عن ذلك الآن ... و لأسترقَ السَمع إلى مَن حَدثني عَنها ...

الهاتف: مَرَّ زَمنٌ و لَم يُخرمِش صوتها سَمّاعتي ... أينَها؟!

الشارع: لَم أعد أرتَجف ... كُلّهن عاديّات ... إلاّها!

شجرةُ الليَمون: لَن أُثمِرَ بعد اليوم ... إلاّ حَبَّتين في كُلِّ مَوسِمٍ... وكلُّ عامٍ سَيكُونان أكبر ... لأوافِق رُمانَتيها!

كَرمَةُ العنب: لَن أمُدَّ ظِلّي حتى تأتي مُجدداً!!

قَميصي الأزرَق: كُفَّ عَن ارتدائي ... أريدُ أن أتنَعمَ برحيقها الأخير!!

كَنزتي الصُوفية: لَم أعد في الخِدمة .. فأعذرني ...!!

قَميصي الأبيَض: لا تُرسلني إلى التنظيف ... لأحتَفِظَ بأحمَرِ شفاهها على ياقتي!

مقعَد السيارة كانَ أكثرَهم جرأة .. فقال: رباه ... ألم أقل لك أني ما كنت أعبأ بمن أتى بعدها، وتذكر أني لن أكون مريحاً كما وعدتك، إلا حين يلامس خصرها خصري!!

كَم عَليَّ أن أركُلَ الأشياء مِن حَولي لتهتَزَ بَقاياك منها ... فقد يَصِلُك منّي شَيئاً، فتتذكري وعدك، سأرجع حين أكبر قليلاً!!

سأرجعُ حينَ أكبُر قليلا!!

تستطيع أن تنير حياتك بشيكل

أسعد صفطاوي*

عندما بدأت بممارسة التدخين، لم يكنْ عليّ أن أحسبَ كمية السجائر التي أدخّنها خلال الشهر. بعد أن بدأتُ العمل وتقاضي راتب، أصبحَ عليّ أن أضعَ ميزانية خاصة وصلت، حتى تاريخ كتابة هذا النص، إلى ٢٥٠ شيكلاً شهرياً، أي بمعدّل علبة ونصف يومياً تقريباً. بجانب تلك الميزانية، هناك ميزانية خاصة بالحياة الشخصية، وأخرى خاصة بالجامعة، وأخرى غيرها ضئيلة نوعاً ما لا تتعدى ٣٠ شيكلاً، هي فقط "للولاّعات" المنوي سرقتها. فلا تكاد الولاّعة تهنأ في جيبي حتى لا أشعرُ بوجودها! لا أدري أينَ تذهبْ؟! ماذا تفعلْ؟! أينَ انتهى بها المطاف...؟! المهم أني أفقدها.

---

* بدأ الكتابة مذ سن الرابعة عشرة، لتحتضنه في البداية مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي عبر فريقها الأدبي "يراعات". نشر في ملحق "يراعات" باستمرار، وشارك في الأمسيات التي كان يعدّها الفريق، وأمسيات خارجية مع اتحاد الكتّاب والمراكز الثقافية والأدبية الأخرى، شغل منصب رئيس هيئة التحرير لمجلة يراعات، ومنسّق أنشطة تجمّع يوتوبيا للمعرفة، ويحاول من خلال نصوصه أن يمارس عملية البوح الداخلي، في رسالة إلى أن الحياة تحتوي أرواحنا وتحلّق. الآن صفطاوي في طور التجهيز لطباعة أولى مخطوطاته الشعرية "فراغٌ للانحناء"، ومخطوطة أخرى بعنوان "بوحُ المفترقات" مخطوطة نثرية كُتبت على مفترقات الطرق في غزة، في حالة من الوصف التفصيلي عن حركة البشر في أوقات الازدحام.

وقعتْ عيْنَاي على إحدى الولاعات في الدكّان الصغير، الذي يعترضُ طريقي أثناء ذهابي لمؤسسة تامر وعودتي منها. ولاعة اكتست باللون الأبيض، وكانت ذا فائدتين: الأولى أنها تشعل السجائر، والثانية أن لها ضوءاً من الخلف. اشتريتها بشيكل واحد فقط! لم تكنْ على قدر أفضل مما سبقها، إذ أدركتُ أنها لغيري، "كالعادة". مرّ اليوم الأول، والولاعة ما زالت معي!

اليومُ الثاني، الولاعة ما زالتْ تصاحبني!

الثالث ... حدثَ أن عدتُ إلى البيت مبكّراً، كانت الكهرباء قد غادرت حيّنا منذ الساعة الثالثة بعد الظهر، وبدأ نشاطي في البيت ... .

بشيكل ... استطعتُ أن أقومَ بإعداد طبقْ أفوكادو، وإضافة المكوّنات عليه بالكامل.

بشيكل ... قمتُ بالاستحمامْ، لمدّة ١٧ دقيقة، مع إضافة نوعي شامبو، وصابونة عتيقة.

الدقائق العشر الأولى ماء ساخن، الدقائق السبع الأخيرة ماء بارد.

بشيكل ... أنهيتُ مسرحيّة "الملك هوَ الملك" لسعد الله ونّوس.

بشيكل ... نجحتُ في إشعال عشر سجائر حتى لحظة كتابة النص.

بشيكل ... أصبحتْ حياتي بيضاء.

إلهي ... أيُ منطقٍ هذا الذي يُسيّرُ سبع ساعات من حياتكَ، بولاعةٍ تحملُ ضوءاً أبيض وسعرها شيكل واحد فقط...!

أيُ منطقٍ هذا الذي يُجلسُكَ بينَ أربعة جدران، وأربعة مولّدات كهرباء، وأربعِ مسرحيات تتوه كل واحدة فيها بخشبة مسرح مختلفة، وتقرر أخيراً أن عليكَ قراءة واحدة فقطْ، بولاعة بيضاء!

الغريب في الأمر أن ضوءَ الكازِ في الغرفة المجاورة نفد، أما ضوء الولاعة الأبيض، فلا يرغبُ في النَفاد!

ملاحظة: "لا أنصح بانتظار الكهرباء طويلاً، حتى لا تُصدم بحبيبتكَ، في أول دخول لك على الشبكة العنكبوتية منذ ٢٤ ساعة، تقول: "كويس إنك دخلت حتى أطَمن عليكْ، لأني بدي روح نام".

تصبحوا على خير ...

الفزاعة- الشجرة- قرن الغزال

أنس أبو رحمة*

الفزّاعة

تزرع أمي السمسم
فتأكله العصافير

الفزّاعة التي من الثياب
تتواطأ مع العصافير:

تغلق فمها

تترك عينيها للنوم

وتُسقط السيفَ من بين جفنيها

---

* مواليد ١٩٨٩، رام الله، طالب أدب عربي- جامعة بيرزيت- فلسطين، يكتب الشعر والقصة وينشر في العديد من الجرائد والمواقع الإلكترونية. عضو هيئة تحرير "يراعات" للفتيان والفتيات لأربع سنوات. "أغنية البئر" مجموعة قصصية صدرت ٢٠١٠ عن مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي. "البحث عن القمر" قصة للأطفال صدرت عن بديل- بيت لحم. "قرنفل الذاكرة" كتاب بالتشارك، مجموعة قصص صحافية. "حدائق الأمل"، كتاب بالتشارك. "قصص عن حرب غزة" دار كلمات- الإمارات. نال المرتبة الأولى في جائزة العودة للعام ٢٠٠٨ عن حقل القصة الصحافية، وفي العام ٢٠٠٩ نال جائزة تقديرية عن حقل القصة لجائزة العودة. له العديد من المشاركات الثقافية والأدبية في فلسطين والخارج.

الفزّاعة التي من الثياب
تُحب العصافير أكثر من وظيفتها

الفزّاعة التي من الثياب
أزورها كلما هربت من المدرسة.

قرن الغزال

من جفنة عينيكِ
تتوضأ الطيور
لكنها لا تصلي

بل تموت
من شق في حائط البيت
تدلف الأغنياتُ إلى قطن سريري
فأبتلُّ بالنور
وتقول أمي:
"شيخٌ يبول في ثيابه".

من حرش الصنوبر
تخرجُ قبّرة لتقابل
"أبي فوق الشجرة".

الحائط مكسورٌ من أثر الصداع
الفراشة قتلها الغاز المسيل للدموع في مظاهرة الفتيان مع العسس.
الجرس تضمخ بالصدى ولم يعد يغني
تشاجرت مع اسمي

– لستَ أنا
– بل أنا أنت

"بللني طفل ببصاقه،
شيخ يبول في ثيابه".

من جفنة عينيك تتوضأ الطيور
لكنها لا تصلي
بل تموت
أنتِ آخر من عبر الليل
صوب المخيم

أنت نجم
يحرث الأرض بقرن الغزال.

الشجرة

أمام سريسة البلدة
غنت الجدات قبل الحرب العالمية الثانية
"ع السريس
ع السريس
يا شجرة ابعتيلي عريس"

وربطن مناديلهن بفروع الشجرة

أمي

ربطت منديلها وغنت كي أكبر وأصير سوسنة الليل.

البارحة كنت هناك

أغني:

"ربي إني وهن القلبُ مني وسكنته غزالة،
ربي أسكني عينيها"

لم أربط منديلاً يا أمي.

جرس منتصف النهار

أمل جمعة*

"نحن في الدرب الصحيح"، قال الفتى لرفيقه وأكمل بثقة وحيوية: نقترب، أتسمع صوت الأجراس باتت قريبة. ودبت في الشارع المظلل حركة سريعة بفعل الفتيان، نبهتْ على الفور عجوز يجرُّ عربته الفارغة. أدرك حينها أنه يقتربُ من هدفه، وربما اكتشف أنه يسير بعكس المرام.

كان الشاب يحدق بها عندما أيقظته كلمات الفتى. نظر في ساعته وشد الخطو تاركاً ابتسامته معلقة بلا حسم، لاغياً على ما يبدو إيماءة غزل كان ينوي فعلها. الأجراس تصدح الآن، وتبدو دعوتها شديدة الإغراء. لكن لمن يا ترى؟ بالتأكيد ليست لها.

الصوت يبتعد، والمدينة بأكملها تسير مسربلة بالصوت الندي. شعرتْ بالخيبة، "سحقاً للفتى الصغير"، ماذا يضيره لو تأخر ثانية واحدة، ثانية فقط؟ تسمح للشاب بنظرة ندية طويلة قليلاً، "يا صغيري (المتشوق) لا يحدث هذا كل يوم".

---

* من المنسي في حيفا ومولودة في مخيم جنين، وأقيم حالياً في مدينة رام الله، وحاصلة على بكالوريوس اقتصاد وإدارة أعمال من جامعة النجاح الوطنية ودبلوم إعلام إذاعي متخصص من جامعة بيرزيت. اعمل منذ ١٣ عاماً في مجال الإعلام، متخصصة في مجال المرأة، وأكتب في بعض الصحف والمواقع الإلكترونية، وأكتب وأرسم منذ زمن بعيد، ولكن بدأت النشر فقط العام ٢٠٠٦، ولدي معرض فن تشكيلي يتيم تحت عنوان "رباعية الخزان" العام ١٩٩٧.

إنه يوم أحد، يشبه إلى حد بعيد وجه امرأة على وشك أن تجتاز الأربعين، مترددا حزينا، ولكنه بلا شكوى. عبرتْ الشارع محاولة أن تتخطى بحرص رومانسي كوماً من الياسمين الذابل، ولكنها عادت وبعثرته بعنف طائش. الأحدُ يتنفس ويبدأ الضجيج.

"لا أحد هنا"، قال صوت شبه غاضب، "فاليوم إجازة". انسلتْ مبتعدة دون أن تقول كلمة. تطوع صوت آخر أكثر رقة: "تعالي غداً باكراً، لا تجدينهم إلا صباحاً. فاتها أن ترى وجوه المتحدثين وكرهتهم بلا سبب مباشر، ولكن رنّة أصواتهم، كانت تقول لنفسها، "تشبه زعيق سيارات منتصف الليل".

عندما تشعرين بنمو الكره في قلبك حدقي في الوجوه، وجوه البشر تعيسة جداً يا "حبيبتي"، ولكنها دافئة، عندها ستجدين في القلب متسعاً للحب أو الشفقة، وأكمل قائلاً: و"بالتحديد هذا لا تستعمليه معي أبداً".

في قلبها تتنامى الغصة، فهل تعود وترحم نهارها من استياء سيرافقها حتى المساء. فقط لتنظر في وجوههم، ولتقول شكراً على المساعدة، أو لتنطق بأي شيء. "ولكنه الأحد"، وكأنها تعاود تذكير نفسها إجازة القلب من الشكوى والاعتذار.

إلى أين تذهب الآن؟ لا رغبة لديها مطلقاً في العودة للبيت (المرتب والنظيف)، فهي تكره البيوت شديدة الترتيب، وخادمتها، تلك التي تتقاسم معها نصف راتبها، بها مس جنوني اسمه النظافة؛ لدرجة أنها تبدل لها فناجين القهوة كلما سقطت قطرة منها في صحنها الأبيض، تقول محتجة: "لا إبداع في النظافة الكاملة، في النقصان حكمة يا هذه".

هذه السيدة التي تساكنها منذ عام، لم تعد تدري كيف تناديها. هذه السيدة التي أصبحت تقوم بكل أعمال المنزل بلا أجر مقابل منامتها وطعامها، وهي التي كانت قد عرضت عليها عملاً بسيطاً في بيتها بعد أن قابلتها هاربة من زوجها، أو هكذا تقول حكايتها على الأقل ... رفضت هي بشدة، فلا تطيق أن تقوم بدور السيدة المانحة، إلا

أن السيدة الخمسينية أصرتْ وصارت علاقتهما غير مفهومة حتى بينهما، فالسيدة الخمسينية التي طلبت منها هي يوماً في سيارة أجرة عامة، أن تبتعد قليلاً لأنها تضغط على ساقها، فما كان من الخمسينية إلا أن فتحت فاها مذعورة ومندهشة ولسانِ حالها يقول: أنا امرأة مثلك ولا يضيرك اقترابي. كان قلبها غائماً ذاك الصباح ولم تشأ الجدال. بقيت الاثنتان تنظران نحو بعضهما بالكثير من الغضب، وكل منهما تتحين الفرصة لإيلام الأخرى. وبالذات في تلك اللحظة تذكرت الفتاة أن تلك المرأة غريبة الأطوار، وكيف أنها كادت تبكي منذ أيام وهي تقف بالصف الطويل في البنك لاستلام راتبها، تذكرت الرجل العجوز الذي انتظر ساعة تقريباً، وعندما حان دوره قال له موظف البنك: "لا يوجد شيء"، انسحب العجوز مفسحاً لها الطريقِ وهو يخفي أوراقه في جيب سترته الداخلية، نظر نحوها منكسراً، أحست للحظة أنها مدانة وكأن لها دوراً في مأساته الصغيرة، كادت تقول: "اقسم أن لا ذنب لي"، وترقرقت دمعة في عينها، استلمت راتبها ومضت مهمومة.

تذكرت نصيحة الوجه البشري ونظرت تماماً نحو السيدة التي شرعت بإشعال سيجارة وتأهبت لتكشيرة غاضبة، قالت ودون مقدمات: "أشتاق لفنجان قهوة الآن".

كانت كطفل صغير يعدد ما يشتهي من ألعاب عشية العيد.

وأجابتها السيدة على الفور: "تماماً كل ما احتاج أيضاً".

التقت السيدة بعد أسبوع مصادفة، ورافقتها لمقهى قريب. لم تتردد الخمسينية وجلست بثقة تامة، ودون ارتباك الأمهات في المقهى، رغم ثوبها البسيط وشالها الحرّ أحبتْ حركة يديها وهي تثبت شالها بين حين وآخر، وبقايا الحناء على أطراف أصابعها وحيوية فائضة وخبيرة في ارتشاف القهوة. وبلا أسباب، قد تبدو منطقية للآخرين، جاءت لتسكن معها وقالت لها: "قولي لهم خادمتي، فلا قلب لي لأجيب عن أسئلتهم، ولا يزعجني بتاتاً لقب الخادمة، فأنا أعرف من أنا، وأنت كذلك".

هو أيضاً قال: إنها شديدة الفوضى ولكنها تدير فوضاها بحميمية عالية ولذا انفصلا. وقال أيضاً: إذا أحسست بالارتباك تذكري دوماً انك أكثر إبداعاً وجمالاً في فوضاك، ربما أحببت هذا بك دوماً ولكن، أنت تتجهين نحو ترتيب مشاعرك وهذا يقتلني. نحن في الدرب الصحيح. قالت وهي تلهث مرة: "ها أنا أسمع صوت الأجراس".

ضحكت يومها، "ليس بعد، ولكننا نقترب، ألا تسمع صوت الأجراس".

وكان يلهث وراءها في طريق صعود متعب، "هل وصلنا؟"، سأل.

"سأقتلك في القمة، أقسم أنني سأنال منك"، إن كان راهبك المثير قد رحل.

بدا الأمر مزعجاً في البداية لأصدقائها وزوّارها، ولكنهم اعتادوا وجود خادمتها، كما تطلق على نفسها. واعتادت هي وجودها. كانت تسلمها نصف راتبها لتقوم بشؤون البيت كاملة وتريحها، هي كتلة الفوضى الأبدية، من كل ما يعكر صفوها.

أقنعته أن عليها وإياه أن يذهبا لرؤية راهب يسكن أعلى الجبل. كانت متيقنة على نحو شديد الغرور أنه دائماً ينوي الحديث معها، ولكنه يتراجع كل مرة قررت هي أن تقتحم صمته. عادا من الجبل خائبين. ضحكا كثيراً في طريق النزول وتبادلا الشتائم والغزل والاعترافات على طريقة سأقول لك سراً، تلك لعبتها المفضلة، وكان يحب أسلوبها حين ذاك، وكذبها "المبدع" كما وصفه لاحقاً، وبالتحديد في أمسية صيف حارقة، حيث كان وإياها يغوصان في عرق غاضب. تتذكر المشهد الآن، وتتخيل كيف أسرعت الشمس في المغيب، وكيف هرت شجرة الياسمين كل زهورها مرة واحدة، وكيف صرخت وصرخ، وكيف ماءت القطة تاركة قطعة اللحم وهربت. وتذكر أيضاً كيف سكنا مرة واحدة وقام ليحتضنها وهو يقول: "لنهدأ قليلاً لنهدأ حبيبتي". لكن مبرد أظافرها خدش وجهه، فقد كانت تقلم أظافرها عندما صرخ: "توقفي رجاء، أنا اختنق، كذبك المبدع يقتلني عزيزي"، ونسيتْ في حمى الغضب أن تلقيه

بعيداً، وعلى غير المتوقع أصابتهما نوبة ضحك وأخذ يشتمها ويشتم نفسه ويقبل وجهها، ولكنهما افترقا في النهاية.

هي كما تقول، لا تطيق النهار بلا حكاية، ولا تحتمل الصمت، تخاف أن تهجم عليها الهواجس ولا تطيق حكاياتها، صمّاء دائماً، تشككك وتضيف وتحذف حتى تنسى الأصل.

ولكنها تضيق بكل صوت الآن، ولا تحتمل ثرثرة خادمتها كما صارت تسميها في نفسها، تكرر اللفظ بغضب وقرف، وتشد على شفتيها لتبعد شعورها الجاف نحو السيدة. "إذاً أنت تنهجين كالجميع، وتماماً تتصرفين كامرأة من منزلة أعلى هراء، "فأنا أعرف وأنت تعرفين من أنا". تأتي كلمات السيدة الخمسينية تطعن داخلها، كانت ضحية سهلة، هكذا فسرت لنفسها. هي تعلم أن لا مطامع لمساكنتها في شيء سوى ذاك النمو لسيطرة المقيم، وهي تعلم أن هشاشتها تقيها قوة السيدة، وتعلم أنهما الاثنتان، بحاجة لهذا الوضع المركب الغريب. كل لديها سبب، فماذا تفعل مطلقة شابة مع هاربة من بيت الزوجية! مع أن العكس كان من المفترض أن يكون أمام هجوم السؤال والفضول، لا شيء سوى التربص بالآخرين وبخديعة الحكاية.

كم رَغِبَت، كما هي مساكنتها، تتحدث عنه ببذاءة وقذارة، "الوغد (التافه)"، وتصرخ "الخائن"، وتلبسه من المعاني والصفات ما يرطب قلبها، ولكن تحجم في كل مرة وتقول: "انفصلنا بسلام، ضرورات التمدن". ما أصعب أن نعترف أن الهوى توقف وكل ما كان (مجرد دهشات بصلاحية معينة، انتهت الصلاحية ففسدت الدهشة).

تضرب ساقها بالأرض وتشد على خاصرتها، "كذبي المبدع"، لم يعد مثيراً يا هذا؟ ولا يضيف لقهوتي نكهة إضافية.

غادرها الكلام وحل الصمت جامداً وقوياً. هل كانت تكذب؟ ما الضير إذا تصرفتْ بحكايتها كما تشاء؟ ومن يمنع الإضافة أو الحذف في شأن القلب؟ الصدق بعض من اليومي لا إبداع فيه بتاتاً، هذا إذا اتفقت معك

أن الصدق نقيض الكذب. كَتَبَتْ له مرة إلكترونياً، وتوقفت الكرة هناك. نحن في الدرب الصحيح، تقول لأمها: "هذا طريق الجبل، أتسمعين صوت الماء".

وتركض مخلفة أمها تعرج. كانت في العاشرة حينها، تذهب للجبل لأسباب شديدة الاختلاف عن أسباب أمها، وهناك تبدأ بنشاط وهمة عملها الغريب بتنظيف حقل الزهر الأحمر من أية زهرة بلون آخر ليبدو مجموعة واحدة وأكثر إبهاجاً. أما قرن الغزال، فكانت تجعله يتفرد في مساحته بلا منازع، وتقص الأعشاب بالمستوى ذاته، وتقلع من الأرض كل زهرة صفراء، كانت لا تطيق الأصفر ولم تتصالح معه بعد، لاحقاً أهداها الأصفر حبيباً عابراً، ودوماً تحاول أن تساعد النمل على إيجاد مسار تراه أكثر سلاسة، لكن الغبيات كن يرفضن فيتوه بهن المسار.

كانت تكره الغيوم المتفرقة والشتاء البخيل، فهي كما قال لها أستاذ الفن لاحقاً: "لم تكتشف قلبها بعد". كانت تؤطر لوحاتها دوماً بمربع كبير وحاد وتبالغ في رسم عيون ضحاياه، كما كانت تسميهم بإتقان أتعب أستاذ الرسم، الذي قال لها موبخاً: "الوضوح التام يشابه منتصف النهار، لا إبداع يحمله، تتعبني عيون ضحاياك يا فتاة". وانصرف عنها وأخذ يهلل للوحة ساذجة وغير مفهومة، (كما ظنت)، لفتاة بلهاء (أصبحت تلك صفتها بعد ذلك)، فهي تنسى اسمها الآن وتتذكر شيئاً واحداً ظل يرافقها من لوحة تلك الفتاة، (الفراغ الشاسع والسهل).

توقفتْ عن الرسم نهائياً، وتوقفتْ عن خلع الأزهار الشاذة في حقل الزهر الأحمر، وبقيت تكره الشتاء البخيل وتخيفها الغيمات المتفرقة، "بها خبث"، تقول معاتبة السماء.

كلمة أستاذها ترن الآن في أذنها، تأتي مثل نغمة جرس الكنيسة ممطوطة وملحنة وبعيدة. أستاذها العابر كغيمة صيفية: "الفراغ يا صغيرتي حيزٌ مهم في الرسم تماماً كالكذب في الحكاية، جزء مستعار ولكنه في النهاية أصيل.

لم تفهم يومها شيئاً، وقالت مبررة عيون الفتاة الخضر وشعرها البني، "من رفع لوحتها درجات، لا إبداع تملكه هذه البلهاء". وكأنها تريد إقناع نفسها، "إذاً لماذا كل أوائل الصفوف جميلات، الجمال والذكاء هل يلتقيان"؟

أكملت دربها نحو البيت، اليوم ستطلب من رفيقتها الرحيل، ببساطة تامة، ولن تعتذر، لن تبكي، ولن تبرر. ستقول لها مباشرة "أحتاج لفراغ أكثر في البيت وللوحدة، سأعاود الرسم، الرسم بحاجة للصمت والفراغ ...".

فتحت الباب مرة واحدة، ونقرت بقدمها إشارة البدء لن تؤجل، "أنا بحاجة لفوضاي يا هذه"، كانت تحضر عبارتها على نحو حاسم.

البيت فارغ تماماً، ونظيف كالعادة، ولا أثر للسيدة. رحلت، تركت كلمات قليلة، "شكراً عزيزتي، لم أهرب من زوجي كما ادّعيت، فأنا لم أتزوج مطلقاً، ولدي عمل وبيت، لا تبحثي عني، كانت مجرد كذبة استهوتني، هل أتقنت دور الخادمة؟ لا تنطقي، أعرف الإجابة".

ضحكتْ وضحكتْ وضحكتْ ... كانت تماماً كمن قرر أخيراً دخول الحرب، بعد طول تردد، وإذا بالمدينة استسلمت كاملة، الأجراس ترن بقوة في منتصف نهار حارق.

عقلي غرفة كراكيب ونصوص أخرى

تغريد عطا الله*

عقلي .. غرفة "كراكيب"

شيئاً فشيئاً تتحول حقيبة الرأس الدماغية لغرفة "كراكيب" تحتاج لوقت طويل من نفض الغبار وترتيب الأجهزة العصبية من جديد، إضافة إلى عمليات منظمة ومدروسة لنزع الصدأ عن البعض الآخر.

تماماً مثل خزانة ملابس تعيش حالة من الفوضى العارمة منذ زمن بعيد. وهذا يوم الإجازة المنتظر للفرز والطرد وانتقاء الأفضل واختيار الأكثر مناسبة للزمان والمكان الحاليين.

---

* تغريد عطا الله مواليد آذار ١٩٨٤، ولدت وما زلت أعيش في مدينة غزة، لدى مؤهل علمي بكالوريوس في التربية لغة عربية من الجامعة الإسلامية، أعمل صحافية حرة مع عدة وسائل إعلامية مسموعة ومكتوبة مثل وكالة "معا" الإخبارية، وصحيفة الجازيان الكويتية، ومجلة الغيداء ومجلة أقواس الثقافية وإذاعة بي بي سي لندن، أهتم بنقل الواقع الثقافي ومحاولة رصد المشكلات التي يعاني منها الواقع الإنساني في فلسطين، وتحديداً في غزة. أكتب النص الشعوري عبر قالب القصة القصيرة، ولي محاولات في الكتابة الشعرية، كما أحترف التصوير الفوتوغرافي. أحلم بتأسيس مؤسسة تعتني بالطفل نفسياً، وتخلصه من شوائب الحروب المعاقبة في العالم في كل بقعة على الأرض، وأتمنى أن أبدأ من فلسطين للمساهمة في خلق جيل مهذب نفسياً، قادر على النهوض بالمجتمع الإنساني الحقيقي.

وعندها نُجلس رأسنا العالي على طاولة التنظيف، إلى جانب منفضة الغبار وبعض من مواد التنظيف القوية وعلبتين كبيرتين من مبيد حشرات النسيان، إضافة إلى علبة صغيرة من ملمّع الذكريات الجميلة.

ونطرق بالمنفضة الجميلة الغبار المتكثف فوق العقل المهمل، حتى يسافر بعيداً عن لهاثنا المتقطع مع كل سحابة ذكرى. تتمشى أصابعنا المتورمة بفعل الزمن بهدوء غريب بين قوانين العقل وأسلاك النبض ومنظومات الشعور وكنوز العمر وسلات النفايات الكبيرة من وجوه البشر، الذين لا نرغب حتى في تذكر قفاهم، وكم هائل من الصور المتلاحقة بسرعة خاطفة توازي سرعة بحلقة ذهننا البهلوانية.

وفجأة نتنبه أنّ بلاط الغرفة قد تعثّرت التماعته بمقتنيات الدماغ البالية، وإنها قد فُرّغت تماماً منا، ولم يعد لدينا حتى جرائم سريّة نرغب في الاعتراف بها لأحد، ما يحكم علينا بالعفو، بعد بكاء طويل. يأكلنا الإحباط اللذيذ، فلا نجد حلاً متواضعاً سوى أن نلملم أغراضنا ملتفتين يميناً ويساراً دون أن يرانا أحد، لنعيد تهذيب ما يمكن تهذيبه، راضين بما اقتسمه لنا ملمّع الدماغ من ذكريات تأبى على النسيان. وبقلب مشرّب بزرقة سماء لم تزل تشرق شمسها حتى الآن، نحمل ذهولنا الهزيل بخفة سارق محترف نحو اللحظة القادمة لنا، حيث لا مفرّ من اللامفرّ.

فرحة قلب

فاجأتها ترسم بقلم رصاص مكسور فوق ورق أبيض مغبر، وجوهاً لأطفال يلعبون. فأخذت بمراقبتها عن كثب، دون أن تشعر بي. وكانت ترسم بمتعة بالغة تفاصيل وجه شابّة نضرة الملامح، حتى تنَهَدتْ مع الخط الأخير فوق ارتفاعة وجنتي الخد اللتين تزينهما شامة صغيرة. لمّت شعرها الأشيب خلف أذنيها، وأخذت تتمعن فيما رسمت، وعند صراخ أحد قادم تبين أنه زوجها، خبأت لوحتها الرصاصية خلف ظهرها، حتى غاب الصراخ، فدستها في دفتر قديم وبعدها تنهدت أنفاسها كلها. وكأنّها نفّذت عملية تهريب مجرم حكم عليه بالإعدام مسبقاً قبل سماع مرافعته.

وقفتُ قبالتها أبلع دهشتي الحارّة، لحظتها ضحكت ضحكة صبية في العشرين وقالت وهي تبلع ريقها: زوجي العفن لا يحب أن يراني أرسم، وإن لمح ورقة لي فيها رسومات مزقها بيديه الجافتين.

فسألتها، متمنيةً بيني وبين نفسي، قبولها فكرة أن تخبئ كنوزها في جعبتي، فوافقت بدهشة ممزوجة بفرح طفولي لذيذ، أتبعتها بنظرة تساؤل ساذجة خرساء: هل سترمي بهم تلك المتفزلقة في نار الفرن؟

ورغم هول فكرة أن تكون قد أبعدت محبوباتها عن يدين جافتين إلى يدين جافتين أخريين، بفرحة عينين ملتمعتين بمذاق الحياة، أغلقت خزانة تساؤلاتها بالقفل والمفتاح، وجاءتني بعشرات الأوراق البيضاء ذات الخطوط الرمادية الباهتة والداكنة. فمن رسومات لوجوه أطفال، وأخرى لوجوه متعددة لها، ورسومات لمواسم قطف زيتون ومشمش وبرتقال، التي كانت قد خبأتها في سلة خبز مهترئة من القش، وبلفتات ملتفتة للخلف وللأمام دستها في حقيبتي القماشية.

تأملت رسوماتها الطفولية فوجدتها على الرغم من وحدتها الدائمة التي هي عليها، فإنها ترسم ذاتها محاطة بالصديقات، ومن خلو بيتها من الأطفال، فهي رسمت حديقتها محاطة بعدد كبير من وجوه الأطفال. وعلى الرغم من هلهلة ثيابها وقلة اهتمامها بمظهرها الخارجي، رأيتها ترسم نساءً متأنقات، وعلى الرغم من أنّه قد مضى سبعة وثلاثون عاماً على زواجها، فقد كررت لوحات حفل الزفاف ست مرّات.

وكلّما مررتُ أمام حديقة بيتها، وجدتها تنتظرني لتهبني بعض بعضها، فيكبر قلبي، وأحمل فرحها في قلبي وأمضي ... .

سلفادور دالي يأكل وجه أبو فيليب للغاية، كان يوماً مملاً سخيفاً. قدماي الكسولتان تعجزان عن حمل أعضائي للبيت. وفجأة شدّ خنصري طفل وسيم، لم يتجاوز الثلاثة أعوام، واقتادني نحو محل بقالة قريب من المكان، فلبيّت الشدّة.

وإذ بتوليفة عجيبة غريبة تأكل عينيْ. تبدأ بوجه أم فيليب الطفولي المجّعد وذات الشعر البني فوق كتفيها يزين الهواء هبّة شعرها الضوضائي، وملابسها الواسعة المهلهلة، وارتجافة ذراعها اليمنى البضة ترافق مشيتها المتباطئة نحوي كأميرة ضاع تاجها بالأمس.

صورة العذراء تتوسط الجدار المقابل للباب الحديدي الأحمر. تجاورها أكياس الأرز ذات الحجم الصغير ومعلبّات الصلصة والمربى وصناديق السجائر وأكياس المعكرونة، وأكياس العلكة الملّونة الحامضة تستند فوق كتف ثلاجة الآيس كريم، واسم الله يرسمه خط يدوي بلون أزرق فوق لوح خشبي معلّق فوق أربعة أكياس كبيرة من السكر، بينما آنية ممتلئة بالفاصوليا الخضراء تتربع فوق طاولة مقشرّة الدهان.

وفي الناحية الأخرى، يخبط صدر الحائط حفرة يزينها ضوء خافت يلاشي شيئاً من عتمة المكان.

وفجأة، يقفز وجه مدرس اللغة الإنجليزية المتقاعد، أبو فيليب، ممسكاً بأحد المؤلفات لكي يقنع نفسه أنّه ما زال على رأس عمله، تجاوره كومة مؤلفات إنجليزية مدفونة وسط أكياس البهارات وأكياس ماجي وشبسي كرانشي وحبّات النعناع الحارة وبعض من سوريالية دالي الخالدة.

وهم الاختيار

خليل معوض ناصيف*

يمر الربيع تحت شرفات كثير من الناس دون إلقاء التحية

وأحياناً لا يجتاز الربيع الشرفة ...

وتظل سائر الغرفة في غرق برد الشتاء.

وبعضنا

يغادر الشتاء بحثاً عن ربيع يأبى أن يدق أبواب قلبه، قد يجدنا الربيع حينها وقد نجده

ولكن أحياناً نقع في فخ الأزهار السامة

---

* من سكان رام الله وابن عائلة لاجئة من مدينة اللد، مواليد العام ١٩٧٧، إنسان يعشق الرسم لكن الريشة لم تسعفه فقام بالرسم بالكلمات. اكتب منذ ٥ سنوات وبدأت النشر في مدونتي اليمامة الحرة على مكتوب منذ ٣ سنوات، لا أبحث عن القضايا الكبيرة .. لمسة للجانب الخفي في أعماق قلبك ... مجرد محاولة ... تلك همستي للقارئ، اكتب عن تفاصيل الحياة البسيطة التي تضيع منا وسط ضجيج القضايا الكبرى ... فأنا أكتب للإنسان في كل مكان، لدي أسلوبي الرومانسي الخاص في الكتابة ... لكنني لست شاعراً أو قاصاً ... فروح الشعر عندي طفلة صغيرة ذات يوم سوف تكبر وتتسلق شغاف قلبي وتقفز على الورق ... وحتى تكبر سأظل أرسم على الورق بأسلوبي الخاص ... .

فنموت بالسم المعطر!

لا أظن أن الموت أفضل من الانتظار!

كانت تعمل في متجر يبيع بدلات الزفاف البيضاء منذ خمس سنوات

ولا بد أنها التقت الكثير من العرائس الصغيرات

وابتسمت في وجوههن قبل أن تغرق في تأملاتها،

وتعود متأخرة إلى المنزل تحمل خيبة الأمل!

نحن مجرد كلمات في كتاب الحياة ... ذات يوم سوف تطوي الأيام صفحتنا ونمضي ... فلنكن كلمات جميلة ...

خيبة أمل بائع حلوى منعه طبيبه من تناول الحلوى!

ولاشك أنها غرقت في الأحلام أكثر من مرة، وتخيلت نفسها فراشة بالفستان الأبيض.

فحسب مقاييس الشرق هي غادرها القطار وفقدت مقصورة الدرجة الأولى.

كانت كل يوم تنتظر وتراقب الفراشات يركبن القطار وتلوح لهن بابتسامة

وجزء من روحها يتبع القطار.

وفي كل يوم تحتل الأحلام حياتها

تتكاثر الأحلام.

تتكاثف الأحلام.

تشكل ستارة تحجب الرؤيا ... وتحجب الفكرة

وتحجب الوهم

وترضى

بأن تركب مقصورة الدرجة الثالثة مع مسافر عتيق الطراز يركب القطار وهو هارب من قطار الزمن.

هارب بحيث في هربه الوحشي تدوس قدماه كل شيء من زهرة بريئة إلى إنسانية إنسان

هارب بحيث يظن أن امتصاص الرحيق يحيي في عمره الذاوي أمل حياة جديد!

نختار ولكن هل حقاً نختار؟

منذ اليوم أرى الإجابة في عينيك عندما تنتهي حفلة الزفاف

أحياناً يا صديقتي لا نختار

أحياناً نتعرض للاختيار

ونوقع على تلك الورقة فحسب

ونرضى بمقصورة الدرجة الثالثة في قطار

بل نتعلق فقط بذيل القطار.

ربيع ٢٠١٠

طير

عزة جبر*

مات العصفور الصغير، أطلقت عصفورته صفارة طويلة حزناً عليه، حاولت تحريكه، وشوشته، حملته من مكان إلى آخر داخل القفص عله يستفيق، قبلته مرات عدة لربما أعادت قبلتها الحياة له. لم يتحرك، لم يتنفس، بكت كثيراً بالقرب منه، أخرجه صاحبهما من القفص واحضر لها ذكراً آخر، أطلقت صرخات متواصلة، ضربت رأسه بمنقارها، منعته من الوقوف قرب الماء والأكل، ثم سقطت ميتة ... .

موظف استعلامات شد وثاق ربطة العنق، وضع قليلاً من العطر، نظر إلى المرآة، تأكد أن ابتسامته مضبوطة، واتجه نحو عمله، رفع الهاتف مئات المرات، وردد العبارات نفسها "أهلاً بك، بماذا أخدمك؟ هل تود مساعدة أخرى؟ طاب نهارك، أتمنى لك يوماً سعيداً" يبتسم دون علمه بأنه يبتسم، يخرج من العمل يحرر عنقه من الربطة، يصل البيت، يريح فمه من ابتسامتها المصطنعة، ويتذكر أنه إنسان.

---

* مواليد ٣ أيلول ١٩٨٠ في مدينة نابلس، انتقلت للعيش إلى رام الله منذ السابعة من عمري، بدأت الكتابة في سن العاشرة، وحصلت على أول جائزة، في سن الثانية عشرة عن قصة قصيرة بعنوان "حلم". أعمل منذ عشر سنوات في مكتبة بلدية البيرة كمشرفة لقسم المراجع والدوريات، وعملت متطوعة في العديد من مؤسسات المجتمع المحلي، وفي كثير من المؤسسات الشبابية.

طلاء أظافر

نظر نحو أصابعها، ابتسم لصغرها، أخبرها أنها بطلاء أظافر أحمر ستكون أروع وأجمل، ابتسمت بخجل، نظرت طويلاً نحو أظافرها بطلائها الغريب عنها، انتظرته طويلاً حتى يراها، لكنه لم يعد.

انتهازي

يركض خلف المسؤول، يحاول أخذ صورة بجانبه، يجامل ينافق، يهرع للصلاة، حتى وإن كان دون وضوء، المهم أن يراه الناس في أول الصفوف. يناقش بمنطق الغير لا بمنطقه، يعطي نفسه ألقاباً لا يحملها، وفي كل المناسبات التي يوجد فيها عدد من المسؤولين، تراه ينافق هذا ويبتسم لذاك ويطري على أداء أحد الوزراء الفاشلين. لا مبدأ له ولا صديق إلا نفسه، لا يعرف معنى الوطن أساساً. وفي نهاية المطاف، نراه قد أصبح على شاشة التلفاز يؤدي القسم ... .

فقاعة ضوء

مأمون أبو فرحة*

تجري الحياة في ماء البحر، تغوص في أعماقه، لا تختنق، بمقدورها التنفس جيداً في هذا المكان. والماء .. يشربُ الحياة، ويحاول باستمرار ملامسة ذلك الكوخ الخشبي بلونه الطفولي .. بين لحظة وأخرى يستطيع فعل ذلك.

ذلك الكوخ لم يكن يبحر في السماء ولا في البحر، بل في فراغ ساكن يلفه البؤس على شاطئ فقير. كان هناك الكثير من الأشياء البلاستيكية، وقطع خشب مغروزة بأحلام كثيرة كمسامير صدئة، وذلك الكوخ. وكان هناك أيضاً، مالك القادم بحماسة لبدء عمله على ذلك الشاطئ.

مالك ما زال لا يفهم فكرة وجود مثل ذلك الكوخ الصغير على شاطئ بائس. ذلك الكوخ مسروق من جبل ريفي أخضر، هذا ما فكر به. ثم لو تمدد داخله رجل ما، أي حلم سيراوده حين يداعب أذنيه صوت يتبخر إلى السماء ... صوت بؤس يلتهم نفسه ليس أكثر. على الرغم من ذلك،

---

* مقيم بمدينة جنين. على الرغم من مشاركتي في هذا النص، فإنني ما أزال في بداية البدايات، خطواتي ما زالت الأولى في مجال الأدب، مشاركتي في هذا الكتاب جاءت بعد مشاركات قليلة على مستوى النشر، منها ما نشر في الجريدة، وأخرى في مجلات أدبية كـ فلسطين الشباب. لي أيضاً مشاركات في المسابقات الأدبية، كان آخرها جائزة الحرية من وزارة شؤون الأسرى. أتمنى أن تكون مشاركتي بهذا النص خطوة طويلة في هذا الطريق.

وفي حين كانت ظلمة الليل قد نهشت آخر ما تبقى من لحم النهار ... رأى ضوءاً خجولاً يبدد الظلام من حول الكوخ، لم يهتم بسر ذلك الضوء لانشغاله في عمله، ولكنه تمنى أن يلتهم البحر ذلك الكوخ، الذي كان كنقطة داكنة في الصفاء الأزرق. أمنيته لم تكن صعبة المنال، فمثل تلك الأماني يدفعها إلى السماء هواءً بَلِعَ الحياةَ وتقيأها بؤساً. ذلك البؤس يطبق فكّيه بشدة، لا أحد بمقدوره فهم مثل صاحب الضوء الخافت. وفكّا الوحدة اشتركا بالجريمة أيضاً. فالعيشُ لمجرد تنشّق هواء بلا طعمٍ داخل كوخ كهذا وأن يكوّر الحياة على حجم أحشائه، كان يكفي جيداً لفهم ذلك البؤس.

كم هو جميل ذلك الكوخ بمحيطه البشع، لأنه امتلك حياةً في جسد متعفن تحلل بعد سنوات من موته. ولكم كان بشعاً في عدسة آلةً تصوير مالك.

"هل بمقدور آلة التصوير أن تحملني، هل بإمكاني الركوب بداخلها والرحيل إلى الشمس؟" ... تساؤلات كانت تسقطها القسوة المجنونة في رأس ذلك الرجل ذي الوجه المستدير.

مالك انتهى من تصوير مشاهده منذ فترة. وكان قد سمع عن اختفاء ذلك الكوخ قبل أن يعرف من صديقه بوجود الكوخ في قعر البحر إلى جانب جثة الرجل. لم يعرف مالك كيف حدث ذلك، ولكنه يعلم جيداً أنه لن ينظر إلى ذلك الشاطئ مجدداً. ويعلم أيضاً أن مثل تلك الأمنيات، يجب ألا تكون في مكان لا حياة فيه. وهو كذلك لن يستطيع الغفران لفرحه الساذج بسماع ما تمناه ... والأمنيات لن تنته.

طعم السنابل

سامية عيَّاش*

السنابل الصفراء مقلقة ...

المشي نحوها يحيط بخرافة عن امرأة تهبط من السماء، وتذيب الخوف الذي يخطفني نحو الأصفر!

يقولون إنهم حين يقتربون من السنابل الصفراء، تتحول ناعمة بين أياديهم، وأن تلك المرأة التي تهبط، تجعل ساعة الحصاد في "عز الشوب" لذة تتجاوز لحظة ما قبل اقتراب الشفاه التي أغرقها اللوز!

أخاف الأصفر، لكني أرغب في التذوّق ...

مشيتُ في النهاية بقليل من وجل، وأنا أزمّ طرف ثوبي الطويل، لكي لا أتشاجر مع نبتة العُليّق، فأضطر بعد ملل فاجر، لقصّ ثوبي الطويل، وتحويله لقطع متناثرة تليق بدميتي الثخينة!

السنابل أطول مني، أقفز نحو السماء، للأعلى، نعم، للأعلى، كي أشهد منظر تلك المرأة ... لم أحمل منجلاً قبلاً، أنا لا أعرف كيف أمسكه ... خِفتُ أن تراني جدتي فتحملق بي بوحشية ولوم شديدين، وتصرخ

---

* سامية مصطفى عيّاش، مواليد الزرقاء الأردن. في العام ١٩٨٥، تخرجت من جامعة النجاح – تكنولوجيا حيوية، تكتب القصة القصيرة، ولها محاولة روائية.

بي: "بنات آخر زمن! شو يا فلاحة؟". اختبأتُ عن الجميع. كنتُ أرقب من بين السنابل الطويلة الممتدة نحو الشمس وكأنها طرف الحبل الذي يجذبها ناحية الأرض ...

كيف لي أن أتذوق، وأنا لا أحصد؟

ارتميتُ بين السنابل، تمددتُ على الأرض، ورحتُ أغني، وأغني ... ألمّ شفتيّ ثم أرخيها، ولم أتذوّق!

رأيتُ "عزيزة" جارتنا التي تعرف كل شيء، كانت أصغر مني بأعوام، ثوبها غريب، مطرّز على عجل، ملفوف حول جسدها الأسمر. منذ الصباح الباكر كنتُ أراها من نافذة غرفتي في المطبخ، تغلي الحليب الذي حلبته، وتقلي البطاطا على شكل أصابع، وتمضغ الطعام كما لو كان همّاً، وتحكي كثيراً مع الجارات، وتعجن وتخبز في الطابون أرغفة كبيرة، كانت تعرف كل شيء، وكنتُ جاهلة في كل شيء.

ركضتُ نحوها، سألتها وأنا أشعر بالدم يتدفق ساخناً، إن كانت رأت المرأة الجميلة، "هذا ما توقعته، كونها هابطة من السماء، وهي تحوّل السنابل ناعمةً بين الأيادي، وتمنح .. "، وزممتُ شفتيّ، دون أن أكمل!

لم تقل شيئاً، أكملت عملها، وهي تحمل المنجل. نظرتُ إلى يديها المتشققتين وسألتها: "السنابل بين يديكِ ناعمة الآن؟" بدت كأنها لم تسمعني، مددتُ جسدي، وأغمضتُ عينيّ، وغبتُ ... نظرت قربي، كان المنجل في مكانه، "سرقتُ المنجل من بيت أم خالد، لأنها لن تخرج اليوم للحقل، وسأعيده طبعاً، أنا طيبة للغاية" لمستُه، قلدتُ "مسكة عزيزة"، واقتربتُ من السنابل.

كنتَ أنتَ، تشير لي مبتسماً: "مش هيك". وضعتَ أصابع قوية فوق أصابعي، ورحتَ تجزّ السنابل ... أصبحت السنابل ناعمة، ناعمة كزهر اللوز وصرتُ أتذوق، ... أتذوق ...

كانت المرأة الجميلة الهابطة من السماء، تحوّل السنابل بين يديّ، وتمنح الحصاد في عز "الشوب" لذة ... لم أرها، شعرتُ بها فقط.

يوميات حمار عربي

رأفت آمنة جمال*

أبدأ بالباعة المتجوّلين: بائعي السمك، الخضار والفاكهة، أدوات التنظيف، الخبز والكعك ... والبطيخ.

هذه الأيام أخذ بائعو البطيخ إجازةً. فقد انتهى الموسم، ولم يعد هناك بطيخ للبيع "بس بعد في كثير بطيخ مليان بزر .. حاملينو فوق كتافنا .. وعَ السّكينَ". أطفال يلهون بكرةٍ، يركلونها نحو النافذة تارةً ... وتارة أخرى نحو الجدار، وسط صيحاتهم، شتائمهم المتبادلة وغنائهم للـ "واوا"، لشخص اسمه رجب لا أعرفه، يطالبونه بإبعاد صاحبه عنهم، للحنطور والحمار، "مش إللي .. لحمار غيري". مزعجون هم، حين يعيشون مراهقتهم قبل طفولتهم. وحين تصبح الضحكات الخجولة على وجوههم ... شتائم من تحت السرّة.

---

* شاب فلسطيني من قرية مُصمص، إحدى قُرى مدينة أم الفحم، عمره ٢٢ عاماً، يدرس في جامعة تل أبيب اللغة العربيّة والفلسفة، يكتب وينشر من خلال صفحة الفيسبوك الخاصّة به، بسبب تحفّظه على الصّحف الّتي تصدر في الدّاخل، هو من عائلة "إغباريّة" ولكنه نسب قبل أربع سنوات نفسه بالاسم إلى والديه معاً من خلال مقالة بعنوان: سأحمل اسم والدتي. هدفه: مواجهة الأخطاء الاجتماعية بالكتابة، ويطمح إلى مجتمع عربي وفلسطيني متقدّم فكريّاً.

صفّارات السيّارات، صوت ورائحة شاحنات لمّ القمامة. صراخ رجلين على بعضهما البعض كلٌ من سيّارته، يتشاجران على حقّ الأولوية في طريق ضيّقة. هذا يطالب ذاك بالرجوع ولا أحد منهما يتنازل. شتائم لا تخلو من استغفار الله والصلاة على النبيّ وهتك الأعراض لسانياً، "والقضية كلها مش كرامة .. القضيّة إنو ما حدا فيهم بيعرف يرجع 'ريفيرس'".

ضجيج جرّافات. سيّارات الإسعاف التي تخترق الشارع الرئيسيّ بإشارة ضوئية حمراء بحجّة أن مريضاً في داخلها سيلفظ أنفاسه الأخيرة، هو ليس أكثر من سائق متعجرف سيلفظ أنفاسه إن لم يقطع الإشارة الحمراء. مكبّرات صوت تنادي من سيّارات، تعلن عن بدء حملة التنزيلات هنا وهناك. صوت القرآن في المسجد، وبخاصّة قبل صلاة الفجر "القرآن كلام الله .. اللهم لا اعتراض، بس صوت السمّاعات العالي مزعج".

معركة بين جاري العجوز وزوجته تحت نافذة غرفتي. هو يتذمّر، يشتم الله والدين والنبيّ، وهي توحّد الله وتصلّي على النبيّ، "عليه أفضل الصلاة والسلام". يتمتم جاري بعبارات بذيئة اكتسبها خلال سنواته السبعين، لا يخمدها سوى صوت فريد الأطرش الذي يعشقه، وبشكل خاص أغنية "نجوم الليل". تنزوي جارتي العجوز تستغفر الله لزوجها وتبكي.

في البيت: أنا أغطّ في نوم عميق. شجار بين شقيقتي الصغيرة ووالدتي التي انتهت لتوّها من شجّار آخر مع شقيقي الذي لم يستيقظ للذهاب إلى عمله. أصوات مزعجة لجورج وسّوف وهيفاء وهبي وآخرين. يزورون شقيقتي كلّ صباح بدلاً من صوت السيّدة فيروز، وديع الصافي، أو الصبّوحة.

يستيقظ أخي، يتذمّر ويلعن الوضع العام والخاص بعصبيّة أكرهها. وقبل مغادرته المنزل، يلعن الجميع. أرفع رأسي عن الوسادة. أبتسم بخبث لاكتشافي أنني لم أمت وأنا نائمٌ ... وقبل أن أغسل وجهي أتناول حاسوبي المحمول، أتنقّل بين مواقع الإنترنت المحليّة: اغتصاب فتاة

في العشرين من عمرها في إحدى البلدان العربيّة، أب يجبر ابنته على ممارسة الجنس معه وإلا سيقتلها، زوج يضرب زوجته لأنه عاد من العمل ولم يجد ما سيأكله، "الله يسامحها هي الثانية ... ضروري تقضي النهار نميمة مع الجارات؟". زوجة تقتل زوجها بالاتفاق مع صديقها، "خرجو الله لا يقيمه .. لأنه قد ما بيخونها ما عرف إنها بتخونو"، إضراب في إحدى المدارس العربيّة، مظاهرة لعمّال لم يتلقوا الرواتب، حادث طرق مروّع راح ضحيته شاب عربيّ "الله يرحم الجميع". أفتح الصحف، أمرّ على الأخبار ذاتها، "وزيادة عليها كمان شويّة عنف وقهر هون وهناك". أنتقل مسرعاً نحو الملحق الفنيّ والأدبيّ، صور لفنانات شبه عاريات، أخبار طلاق الفنانين الكاذبة، أجور الفنانين في حفلات التهريج و"الهشّك بشّك"، "مش لاقي وقت أفحص حسابي بالبنك وأكيد بالماينوس". الزاوية الأدبية: قلّة أدب في التعبير عن الحب في بعض ما يسمّى بالقصائد، قصائد معقّدة كل كلمة فيها تحتاج إلى لسان العرب والمنجد وقاموس إلكتروني، من بين كل أربعة نصوص ثمّة نصّان لتخليد أحد الأدباء الراحلين، "مش حبًّا فيه وبأدبه .. وإنما منشان يطلعوا ع كتافه، وأكثر واحد كتفه تعبان هو المرحوم، "من الله بس" الرائع "محمود درويش".

بعد كمّ الإزعاج والغضب هذا. أغسل يديّ بعد مطالعة صحفنا. وأعود لأقرأ، وأنا متوضّي، زاوية "أهداف" للأديب القدير سهيل كيوان. يزعجني أيضاً، ولكن بطريقة مختلفة تجعلني أبتسم وأهمس: الله يسلّم البطن اللي حملك.

أفتح التلفزيون: "قنوات الموسيقى باتت كباريهات عُري وبورنو". والأطلال الكلثومية هُدّمت كلها ووضعت مكانها لافتة كُتبَ عليها: "ليك الواوا ... بوس الواوا خلي الواوا أح"، ويا عقلي لا تسأل أين البرامج الحوارية ... الأديبة تُسأل عن مهاراتها في الطبخ لا الكتابة، المطرب الحقيقي يُسأل عن تسريحة شعره لا عن أغنيته الرائعة، السياسي يُسأل عن عدوّه ومنافسه في الوطن، لا عن إنجازاته ومواقفه من الأزمات، "لأنو ناقصنا فتن سياسيّة بدولنا العربيّة"، والشاعر يُسأل عن السياسة وعن

علاقاته الجنسيّة، "والقصيدة ملعون أبوها"، و"قنوات الأخبار تضعنا على الخازوق بمضمون أخبارها". وإذا استثنينا الخبر بمضمونه تظلّ المفردات التي نسمعها سيّدة الموقف: أنفلونزا الخنازير والطيور والبشر، جورج بوش الأب والابن والعائلة، باراك الإسرائيلي، وباراك الحسين، الحكّام العرب والأنظمة، الوزراء العرب، مؤتمرات عربيّة. والمجتمع الدولي، وحصار غزة، والأزمة الاقتصادية، والتصريحات المثقوبة، انفجار، ومقتل، وصواريخ، وأسلحة، واعتقال، ووفاة الأديب والمبدع بجلطة دماغيّة أمام هذا القرف، لا أملك إلا الهروب إلى برامج غسّان بن جدّو، زاهي وهبي، جوزيف عيساوي، بروين حبيب وكم حدا ع الفضائيات العربيّة لسّاتو ما توسّخ لسانو وضميره.

أجوب شوارع وطرقات البلدان العربيّة: في كل بلد أكثر من خمس مقاهٍ للنرجيلة ولعب الورق، لا حاجة لأن تسأل عن مقهى، ولكنّك تتوه وتدوخ وتكاد تصرخ من الغضب عندما تسأل عن مكتبة أو معرض كتاب، فيعضّ سكان تلك البلدة أو تلك على شفاههم ويهزّون رؤوسهم نفياً، "والله ما منعرف يا أخي".

أتمنى أن أسير في الشارع دون أن أكون مهدّداً بالدهس بسبب السرعة الجنونية التي يقود بها الشباب وغير الشباب، حتى السيّارات باتت نوادي ليلية متنقّلة على عجلات ... أغاني صاخبة في السيّارة، تصفير وتصفيق والبعض يُخرج جسده من النافذة يرقص ويغنّي.

حينما أسير في الشارع لا أسمع عبارات يتبادل بها الناس التحيّة، بل أسمع عبارات جديدة أخرى استعارها شبابنا من الأفلام الهابطة والأغاني الرّخيصة. فالشابة التي تسير في الشارع أصبحت: "موزّة"، وبعضهن أصبحن عبارة عن كلمات أخرى، ولا أجرؤ على كتابتها احتراماً للفتاة العربيّة الّتي حوّلها شقيقها وابن عمها وصديقها ووالدها إلى أعضاء تسير في الشارع من خلال ألفاظهم وعباراتهم.

مظاهرات تنظّمها الأحزاب العربيّة في الداخل الفلسطيني من أجل .. ومن أجل .. ومن أجل. ولكن يسقط الموضوع الأساسي وتصبح المظاهرات

من أجل: قلّة الأدب، ومعارك حامية بين الأحزاب، وعرض الأزياء، ورفع الأعلام الباهتة، والصراخ والعويل والصوت النشاز، والتقاط الصور في الصف الأمامي، "والصف الأمامي للحرامي ع راي الشاعر عبد الرحمن بن مساعد"، والقادة يشبكون يداً بيد، "بس ع الدبكة الحزبيّة"، وندعو إلى الإضراب الشامل وخلال المظاهرة نتساءل بحسرة وألم "يا الله الماكدونالدز ليش مسكّر؟ شو هالبياخة، جوعانين".

مهرجان من أجل القدس وفلسطين .. عفواً قصدي من أجل الأقصى، "ولو من أجل القدس بكل مقدّساتها وفلسطين ما بيزعجني"، نصرخ ونهتف لله وهو "سبحانه تبارك وتعالى" ينتظرنا، "وينتا بدنا نتقّيه ونرجع ع بيوتنا".

كثيرة هي التفاصيل الحياتيّة واليومية المزعجة التي أقابلها وأعيشها. ولكني اخترت بعضاً منها لكي أكتب حولها لتأكُدي من أني لو كتبت حول كل ما هو مزعج ومقرف في هذا المجتمع العربيّ المنافق والمزدوج والغبيّ، لما فرغت من ذلك. هذه بعض التفاصيل المزعجة، التي جلبت لي، غضباً منكم وشتائم من البعض الآخر. لأني أعلم أنّي لم أجلب لكم إلا الإزعاج والاشمئزاز.

تخاريف على الماشي

محمد مجادلة*

يقولون، إن الرصاصة التي سوف تقتلك، لن تسمع صوتها، لذا لا داع للخوف من صوت الانفجارات.

كما يقولون، إن الرصاصة ليست، بالضرورة، شقفة حديد ساخنة تخترق أعضائك بحركة دورانية قاتلة فقد تكون صفعة مثلاً!

يعني كف "خماسي" يلبس وجهك، فيعيد ترتيب أنظمة مخك من جديد، حتى تفقد القدرة على التفريق بين قلم الحبر وأصابع الآيس كريم، ولا تخف آثار هذه الصفعة قبل تهشيم نفسيتك، ع الآخر، وتحويلك لشظايا متناثرة بين بصمات تلك الكف.

ويقولون أيضاً، إن كلمة من حروف عدة، تسمعها من أحد الذين يهمك أمرهم، يمكنها تمزيق قنواتك السمعية لتستقر في صالات قلبك المتلئ، وتبدأ في طقوس تحميص قلبك على نيران هادئة حتى ينضج ويقدم وليمة على موائد الغدر.

---

* ولد محمد مجادلة (٢٦ عاماً) في بلدة باقة الغربية، بالقرب من أم الفحم، ويعيش فيها حتى اللحظة، يدرس الإدارة في إحدى الجامعات في المناطق المحتلة العام ١٩٤٨، ويعمل في أحد المطاعم. يكتب محمد النصوص الساخرة المستمدة من واقع حياته وحياتنا. وهو ينشر نصوصه في مواقع إلكترونية مختلفة.

كُثرٌ هم الذين يقولون هذه الحكم، وأنا صراحة لا أعرفهم بالواحد، لكن من الواضح أنهم يملأون البلد.

وأنا على غرار هؤلاء، وكوني أهم علماء زماني وأسطورة تاريخ البشرية، أحاول منذ أعوام أن أقول حكمة واحدة مفيدة ولكن دون جدوى، ولكني اكتشفت أن أكثر الكلام فائدة، هو ألا أقولَ شيئاً، لذا قررت اقتراف الصمت، ليس الصمت بمعناه الحقيقي، إنما أريد تقليل منسوب الرغي والكلام الفاضي المسموع، وارتكاب الإثم الأكبر، أي أن "أحكي وأنا ساكت".

أتحدث مع نفسي ...

فقبل أيام احتفلت أنا ورفيقة قلبي باليوبيل المطاطي لحبنا المهندي النوري، وقامت بإهدائي سي دي ملفوف بورق مزركش، وعليه شبرة من النوع العريض وضعت بشكل أنيق.

غمزتني بالعين اليسرى وعضت على شفتها السفلى وقالت: تَعَلَّمْ مِنْ هذا!

لم أعرف من هو الهذا الذي عليَّ التعلم منه، ولكني خفت أن يكون البوم "تامر حسني"، فهذا النموذج قد بلف عقول الفتيات ورفع سقف الرومانسية لحد جعل أشعاري لا تتعدى أن تكون شكلاً آخر من أشكال الفتور العاطفي.

قمت بحك رأسي بطريقة رومانسية، لا أعرف إن كانت كذلك، لكني اهتممت أن لا أسلخ فروة رأسي عن جمجمتي. وحملت السي دي بكلتا يدي كأني أحمل صينية قهوة، وهرولت نحو أقرب مسجل للتعرف على معلمي الجديد.

أدخلت السي دي في المكان المخصص لذلك! كبست "بلاي" أي تشغيل، ثم "بلاي" أخرى .. عدة كبسات "بلاي" متتابعة .. رفعتُ الصوت، خفضتُ الصوت، قلبتُ المسجل، أخرجت" السي دي" ثم أدخلته دون فائدة!

لا يوجد صوت!

يا لهول الموضوع، "السي دي" فارغ، أو بالأحرى مسجل عليه صمت دلهمي عميق.

اتصلت بها "موبايلياً"، وأخبرتها أنها تعرضت لعملية نصب قذرة من بائع "السي ديهات"، وحاولت إخبارها "إنه معلش"، "وإنها بتصير بأحسن العائلات، وإنه لا داع أن تكون محرجة، فالهدية بمعناها وليست بمحتواها، ويكفيني عناء تغليفها الذي يدل على ذوق رفيع وعال"!

سكتت قليلاً، ثم قالت: مممممممم، مع نبرة استياء واضحة، ثم تَنهدتْ، وقالت: حسناً لم تفهم، تعلم من هذا القرص فنون الصمت، أصول الهدوء، جرب أن تجلس ثمانين دقيقة متتالية دون أن تتكلم ولو كلمة واحدة".

"بيني وبينكم"، موقف لا أحسد عليه، وأنا الذي اعتقدت أن نشاطات الثرثرة، "والتطفل" على شتى الأمور من أهم أسس علاقتنا الوطيدة.

يا لها من فتاه، لقد أحبتني لأني لا أتوانى، عن إبداء رأيي بأي شيء، وأعجبت بقدراتي على التطفل فيما يعنيني وما لا يعنيني، والآن هي مستاءة من الأمر، وتريدني أن اسكت.

جلست لأيام وأنا أحاول فهم ما حصل، وحاولت إقناعها أن الصمت وإن كان من ذهب، فإن الكلام من يورانيوم، وحاولت هي إقناعي أن الصمت أفضل من كل المعادن، حتى لو كانت مخصبة.

وكالعادة أقنعتني!

"بيني وبينكم"، الأمر يستحق التجربة، فقد أجمع جميع الأنبياء والحكماء والناس "الفهمانين" أن الصمت أفضل من الكلام.

وكبديل مقنع لقضاء الليل في مجالس القيل والقال، وهتك المستور ونبش المقبور، وتتبع عثرات الناس، والخوض المزمن في الجدل الفلسفي الأزلي لمن يعود حق الأبوة للدجاجة أم للبيضة! اقترحت فتاتي أن أمارس هواية "الكسدرة"، أي المشي في الطرقات والتفكير في أمور الدنيا!

على الأقل، حين تمشي فإنك تصل إلى مكان ما، وتحرق بعض الدهون. إضافة إلى أن حكيماً آخر، لا أذكر اسمه، قال: إنه يمكن حل أعقد المشاكل أثناء المشي!

وإليكم يا أخوتي مغامرتي الأولى مع فعاليات "الكسدرة"!

كان الوقت عند المغرب والدنيا تودع الشتاء ببرودة مستفزة!

ولتفادي الملل الذي يصيب واحداً مثلي حين يكون وحيداً، صرت أتتبع تفاصيل الشارع، ومغازلة الرصيف، وعناق الإشارات الضوئية، وصرت أسبل عيوني بخجل للمقاعد المتناثرة على جوانب الطريق، وأتحسسها أحياناً علها تكشف لي بعضاً من أرشيف الأسرار في طياتها، فكل مقعد يحمل مخزوناً هائلاً من أحاديث الجالسين والمارة.

كنت أتابع ملامح السائقين بشغف، كأني أول مرة أشاهد وجه بني ادم. وكنت مندهشاً من اختلاف تعابير الوجه والملامح.

"فعلاً إن الناس أجناس. فتياتٌ يرمقنني بنظرة خاطفة سريعة تكفي لتفحص هذا المخلوق ذي الملامح المتداخلة، فتسأل الله السلامة من زوج مثلي وتتابع المسير، وأخريات أكبر قليلاً، بالعادة يكنَّ مع أطفالهن بالسيارة، نساء راكزات يسرن بحذر، منذ أن تشعر الواحدة منهن أن عيوني تتبعها، تقبض عينيها وتبدي ملامح تنشيط لخلايا الذاكرة، ظانّة أني قد أكون معرفة أو شيئاً من ذلك، وسرعان ما تكتشف أن الموضوع ما هو إلا "نشاطات معاكسة"، فتشيح بوجهها مع ابتسامة خفيفة بالكاد تظهر على وجنتيها، وتوحي بمدى تعطش هذه الأم الرؤوم، لأيام الصبا وشلل الشبيبة اللاهثة في الحارات وراء أنوثتها المتناثرة على تضاريس الشارع!

ومنهم الشبان ذوو الدم الحامي، الذين تكون "ذراع الواحد منهم" مستلقية على حافة شباك السيارة، واليد الأخرى ممدودة بشكل مستقيم على المقود، يحدقون بوجهي بعدوانية غريبة كأن له ثأراً عندي، وأنا أتابع "فوران" دمه وتعقيد حاجبيه بلؤم حتى لأشعر بأنها "ولعت

معه"، وأن التحديق سينقلب إلى "طوشة"، فافرد ابتسامتي البلهاء على وجهي المتعب وأجمع حبات عيوني عند أنفي، فتظهر محولة، فيفهم غريمي أنه علق مع واحد معتوه، وأتفادى بذلك تعرضي "لبدن نظيف" يقلب برامجي لذلك اليوم رأساً على عقب.

وهناك نوع آخر من الناس، طابق الرجال. أناس لا يعبرونني ولا يروننني من سنتيمتر، وكأنهم مروا عن عامود كهرباء قابع على الرصيف، منهم من أعمت هموم الدنيا بصره فلا يرى إلا ما يكفيه للنجاة من حادث طرق مميت، ومنهم من يركب السيارات "اللميعة" البراقة، وهؤلاء بالعادة لا يقشعون المخلوقات التي تعيش على ارتفاعات منخفضة نسبياً لخط الفقر القابع فوق رؤوسنا. وهناك نوع من الرجال من هو ألعن، من الذين إذا مروا عن أحد المشاة تجمدوا وراء المقود أو تظاهروا بالانشغال بالمسجل مخافة أن يكتشفوا أن هذا الماشي من معارفهم، ويضطرون بعد ذلك لتوصيله.

يا إلهي! المشي شيء جميل جداً، فأنا بهذه الطريقة أعطي نفسي فرصة رائعة لإقامة حوار صريح وشفاف مع دزينة الأحلام التي ترافقني منذ ربع قرن، وتمارس عليَّ كل أشكال النصب والاحتيال. فأنا أريد الآن أن أفرد كل الأوراق على الطاولة، وأتفاهم بشكل صريح وشفاف مع هذه الأحلام!

كيف أحلم أن أكون طياراً وأنا لم أركب طائرة في حياتي؟ كيف أحلم أن أكون كاتباً مهماً في بلاد ينظرون للورق فيها على أنه قذائف عسكرية موجهة نحو مؤخرات معلمي التاريخ والرياضيات؟

كيف أحلم أن لا أموت قبل أن أطبع بصماتي على مستقبل الإنسانية، وأنا لا أشعر بأي أسى لارتفاع درجة حرارة الأرض ولا يؤرق إحساسي المرهف موضوع اتساع ثقب الأوزون، كما إني أشاهد مجازر الحروب الأهلية في أفريقيا بكل سذاجة، كأني أرى طوشة كرتونية بين "توم وجيري"؟ "وإنه والله لطز بهيك إنساني وهيك إنسانية"!!

الآن لدي الوقت لتسوية الأمور مع هذا الطفل بداخلي الذي توقف عن النمو، بعد أن سقطت من يده أول حبة آيس كريم اشتراها في حياته، بعد أنٍ جمع ثمنها عشر أغورات تلو العشر أغورات حتى أصبح الحشد شيكلاً كاملاً بشحمه ولحمه، ثم سقطت أرضاً ولم يذق منها ولا حتى لحسة واحدة، فاتّكأ حزيناً على جدار قلبي وكتب عليه بالغرافيتي، "فك ذا لايف".

سأفعل كل هذه الأمور وأنا أكسدر.

والبقية تأتي ...

هايكو عشتارية

علي حطاب*

جسدك سماء
وجسدي أرض
فمتى يختنق الهواء؟
كان حب
ثم كان موت
ومنهما كان الخلود.

هل أنت موسيقى،
أم إله تعرّى،
أم زمن لا يموت؟

---

* من مواليد غزة ١٩٧٦. تخرج من جامعة الزيتونة الأردنية تخصص ترجمة وآداب لغة إنجليزية، يكتب الشعر والمقال النقدي والثقافي والسياسي، ويمارس الترجمة الأدبية والنقدية. يعمل في مجال الصحافة الثقافية، نشر كتباً عدة بالاشتراك. نشر في صحف ومجلات محلية وإلكترونية.

جسدك نور
ونفسك نور
لكن عقلك مصدر كل نور.

إذا كانت الجنة عيناك
وشفتاك النار
فماذا يكون الجسد؟

المجموعة الثانية

النســـاء وهمـومهـن

البذرة

لبنى الأشقر*

قالت له: "هل يمكن لهذا الكائن الصغير في داخلي أن يكون طفلاً، يا الله لو كان طفلاً، سيكون ولداً رائعاً مثلك تماماً". رمقها بنظرات شاردة تخلو من أية مشاعر.

هل فعلاً يريد معتصم ولداً ليأتي ولي العهد، وليحمل اسم العائلة!؟

عائلة المهندس التي يفتخرون فيها بأنهم ينجبون الذكور فقط، فأخوه محمد لديه خمسة أولاد ذكور، وأخوه أحمد لديه ثلاثة أولاد وبنت وزوجته تحمل طفلاً ذكراً في أحشائها، وأخته سمية لديها ولدان، وأمه أم المعتصم أسموها في الحارة "أم الذكور"، فقد أنجبت بنتا واحدة وسبعة من الأبناء الذكور كان هو أكبرهم.

---

* لبنى الأشقر إعلامية وصحافية وكاتبة، تعمل رئيسة تحرير صحيفة **صوت النساء** ومسؤولة الإعلام في طاقم شؤون المرأة في رام الله، حاصلة على شهادة البكالوريوس في الصحافة والإعلام من جامعة النجاح الوطنية، وعلى شهادة الماجستير في الديمقراطية وحقوق الإنسان من جامعة بيرزيت العام ٢٠٠٦. نشر لها أبحاث وتقارير صحافية عدة، إلى جانب مقالات اجتماعية وثقافية مختلفة. تكتب في مجال أدب الأطفال منذ العام ٢٠٠١، لها قصة قصيرة بعنوان "**نسمة لن تبقى حزينة**"، وعشرات القصائد من الشعر الحر، وتطمح إلى إصدار مجموعة قصصية وأخرى شعرية خاصة بها.

أفكار عديدة تتقاذفه كما تتلاطم الأمواج على شواطئ حيرته وخوفه. هل يخالف ما يؤمن به وهو الرجل المتعلم والهادئ، ومن يعتبره أهل حارته وعائلته المفكر والناصح لهم دوماً؟ هل يخالف معتقداته بأن الأطفال هم نعمة من الله؛ سواء أكانوا ذكورا أم إناثاً؟ أم يرضخ إلى تلميحات والدته وعائلته بأن يبحث عن امرأة أخرى تنجب له الذكور!

فسوسن "بزرتها بنات"، كما قالت أمه عندما أنجبت سوسن ابنتها الرابعة. "ماذا يعني لو أصبح لدي ست بنات جميلات كأمهن"؟ قال معتصم محدثاً نفسه: "لماذا يجب أن أنجب ولداً ما دمت أحب زوجتي وبناتي".

يشرد بخياله بعيداً مسترجعا أُولى اللحظات التي رأت عيناه فيها سوسن. يذكر المرة الأولى التي شاهدها فيها، حيث كانت متوجهة لبيتها بعد انتهاء دوامها في الجامعة، لكم كانت فتاة رائعة. يومها مرت بالقرب منه وشعر حينها بأن إشعاعاً جذبه لإطالة النظر إلى هذه الفتاة التي تمشي بثقة وكبرياء. استمر بعدها الأمر أشهراً عدة، كان خلالها يراقب سوسن ويتعرف كل يوم على شيء جميل فيها. فهي طالبة متفوقة في الجامعة، وفتاة حنونة وديناميو عائلتها. تحدث إليها، وقليلاً قليلا أصبحت هناك مشاعر حب رائع جمعهما معاً، وظل مرافقاً لهما وانعكس على بناته وأسرته، لتصبح أسرة متفاهمة محبة.

أعاده صوت بناته من مشاعر دغدغت جنبات قلبه وأشعلت فيها الوقود من جديد، "بناتي آه .. آه، نور الصغيرة هي أجمل البنات في الدنيا، كيف لي أن أيتمها بفقداني في زواجي من امرأة أخرى؟ كيف سأكون أباها المحب إذا فقدت حناني؟ آه وندى؛ ندى الحنونة التي تبقى ساهرة حتى مجيئي من العمل متأخراً، فقط لتقبلني قبل أن تغفو على صدر أمها"...

"كيف لي أن أحرمها من هذه القبلة ومن هذا الصدر، الذي تستريح عليه عند اشتداد حرارتها بعد مرض مفاجئ. ندى آه يا ندى".

"لكن كيف لي أن أبقى بلا طفل يحمل اسمي بعد وفاتي" ... .

"معتصم، معتصم، ما بالك لا ترد على حديثي يا حبيبي، بقيت أحدثك منذ ربع ساعة وأنت لم تجبني ولو بكلمة واحدة".

نظر معتصم إلى سوسن وقال: "لا شيء مهم يا حبيبتي، بعض الأفكار تراودني لكنها ليست بذي أهمية، انسي الأمر وقولي لي ماذا تشعرين الآن؟ هل تشعرين بحركات الصغير في داخلك؟".

أجابت سوسن مبتسمة: "لا أشعر بحركته، فما زال الوقت مبكراً لأشعر بحركاته، فأنا ما زلت في شهري الثالث يا عزيزي يبدو أنك نسيت ذلك".

قال معتصم: الشهر القادم نستطيع معرفة جنس المولود يا سوسن. قالت سوسن: إن شاء الله سيكون ولداً ونفرح بقدومه. قال معتصم: "إذا جاء ولداً سأذبح خروفاً على عتبة الدار شكراً لله يا سوسن، إن شاء الله سيكون ولداً لتكتمل سعادتنا".

قالت سوسن: "وإذا لم يكن ولداً ماذا سيكون شعورك؟".

قال معتصم: "كل شي من ربنا خير يا سوسن وخليها على ربنا، الله يجيب اللي فيه الخير".

معتصم، معتصم ... أسرع معتصم لرؤية والدته التي وصلت إلى غرفة الصالون في طريقها إلى غرفة نومهم: "أهلاً وسهلاً يا أمي تفضلي نحن هنا في غرفة النوم".

لم تنتظر أم المعتصم الرد من ولدها فقد وصلت فعلاً إلى باب الغرفة مع نهاية آخر حرف من كلماته.

"خير إيش فيك يا سوسن؟ بحكو إنك تعبانه؟ مهو حمل البنات متعب مش متل حمل الأولاد أسهل وأيسر". وشددت أم معتصم على حرف الراء وهي تنظر في عيني سوسن مباشرة.

نظرت سوسن إلى معتصم ولم تجب بشيء فقال معتصم: "الحمد لله هلأ سوسن أحسن، ما تخافي أمورها بخير".

أيام مرت طويلة على سوسن وهي تنتظر اللحظة التي ستسرع فيها إلى عيادة الطبيب لكي تعرف جنس مولودها الجديد. دوامة خوف وقلق مستمر تعيشها سوسن، ماذا لو كان المولود أنثى؟ هل سيبقى زوجي مخلصاً ويتحمل ضغوطات أهله في عدم الزواج علي؟ هل سيصمد حبنا أمام رياح رغبات أهله في طفل ذكر يحمل اسم ابنهم؟".

سوسن كانت أضعف من أن تتحمل فكرة ابتعاد معتصم عنها، معتصم الذي أحبته سنتين كاملتين بلياليها ونهاراتها ليوافق أهله على زواجه منها. سوسن التي تستشعر في نظرات عائلة زوجها نيران الاتهام لها بأنها لا تنجب سوى البنات. فأمها أنجبت خمس بنات وولد، وأختها لديها عدد البنات يتفوق على عدد الذكور، وأختها الأخرى لم تنجب مطلقا رغم السنوات العشر التي قضتها مع زوجها، لتكتشف في النهاية عدم قدرتهم على الإنجاب بعد أن أنفقوا مدخرات هذه السنين في محاولات فاشلة لزراعة طفل في رحمها.

انتفضت سوسن محاولة لملمة نفسها واستجماع قوتها للذهاب إلى عيادة الطبيب، فاليوم تصبح في منتصف شهرها الرابع، ويمكنها الآن أن تعرف جنس مولودها. "يا ربي لا تحرمني من هذه الفرحة، لن أستطيع أن أعيش بدون معتصم في حياتي، لمن سألجأ عند تعبي، من سيزيل دموعي ويحتضنني بقوة مخففا عني ألمي، ومن سيحمل بناتي ويلاعبهن ويحميهن ويربيهن؟ أخذت تبكي سوسن بحرقة وهي تتخيل زواج معتصم بأخرى.

تغلبت سوسن على إحساسها بأنامل معتصم يمسح دموعها عن وجهها ويقول لها: "سنكون أقوياء، حتى وإن كانت بنتاً فستكون جميلة ورائعة مثلك يا سوسن".

كلمات معتصم أراحتها قليلاً وأعطتها القوة لتسأل الطبيب ما جنس مولودي؟ وقف الطبيب وهو يزيل القفازات البلاستيكية عن يديه ويرفع نظره إلى وجهها، يفتح شفتيه ويطبقهما، قلبها يخفق بقوة، نبضات قلبها تتسارع، دمها تشعر بأنه انقطع عن التجول في شراييها، تحاول

رفع عينيها من جديد إلى وجه الطبيب، تحاول الوقوف تدور الدنيا في رأسها، لا تقوى على حمل نفسها فتقع على الأرض مغشياً عليها.

"سوسن .. سوسن، أفيقي يا حبيبتي، أفيقي لتسمعي أجمل خبر، أفيقي".

ترفع سوسن رأسها وتسمع كلمات معتصم: "أنت حامل بتوأم يا سوسن، ولداً وبنتاً يا حبيبتي"، لم تحتمل وقع الكلمات فسقطت على الأرض من جديد.

٢٢ حزيران ٢٠١٠

في محطة انتظار

علا "محمد مهدي" فتحي*

كغيمة ركامية تفتح فاها على مصراعيه، قاذفةً كل ما لديها. هكذا فَعَلَتْ ... لتكتشف أن الرياح لا تسيِّر تلك الغيمة كما تشتهي، وإنما هي تُسقط حملها على أرضٍ لا تستحق الخصب!

لم يكن الزواج يعني لها سوى استقرار، لم تكن تفتقده، فهي "شخصية مستقلة"، كما يتندر زوجها مكرراً الجملة التي نبتت على لسانها واستمرت بالاخضرار، وقبل أن تزهر يبست!

"الصبر الصبر، وإن نبت الشوك!"، تواسي ذاتها.

فحتى الأحلام تفرّ من واقعها، تلك الطفلة التي تصعد في منامها متسلقةً درجات عمرها، وترقص على أطراف أصابعها غير آبهةٍ لثوبها الضاج بالفتنة، وتلك المساحة الضيقة المؤدية للفراغ القاتل ... حتى تلك الشقية والبريئة والفاتنة، تشارك كل شيء، بالابتعاد عن عالمها.

فالحمل يُجهض من أوله، إذ لا نبض للجنين! لينمو في عمقها سؤالٌ: "هل أصلح للحياة؟ هل سيتقبل جسدي روحاً تضج بالحياة، كم اشتاق لشيءٍ ينبض داخلي، "يرفس"، يقفز، يعلن عن قابليته للحياة".

---

* جامعة القدس المفتوحة، سنة ثانية، مجموعة "عايدة".

ربما يتعلق ذلك بمحور آخر، لا علاقة له بقابلية الجسد لاحتضان الروح، ولا يعجز الأطباء عن تأويلاتٍ وتعقيداتٍ تجعل استمرار الحمل معجزة، أشبه بحمل السيدة العذراء!

لكن ابتعاد ذلك الكائن، الذي يشتاق كيانها لاحتوائه، يجعل وضعها صعباً في بيت العائلة. فطالما ولي العهد "لم يشرّف بعد"، وطالما أن هناك حجة ثانوية: مواصلات العمل، وهي المسافة بين قلقيلية ونابلس، إذاً فالأولاد يضيعون على الطريق!

لذا، عليها أن تضيف لتعبها النفسي والجسدي، جراء الإجهاض، فرعاً آخر، ألا وهو موقف العائلة، طبعاً، باستثناء زوجها الذي يبقى "أوكسجيناً" تحاول التقوّت من خلاله للنهوض مجدداً. وعندما تستعيد عافيتها، وفي وقتٍ قياسي، تفقأ تلك الفقاعات من الأقاويل التي تسبح في ذهنها وتتكاثر ... تفقؤها قبل أن تنفجر في رأسها ... ويكون العمل هو المرفأ، بل هو الترفيه، لكن حاجتها للسكن في نابلس لكسب راحتها الجسدية والروحية تذكرها بخيبةٍ أخرى. فمنذ ما يقارب الثلاث سنوات ونصف، وهي تسعى إلى الحصول على تعيين يحسن الراتب، ويوفر لها التأمين الصحي بامتياز، عندها، وفقط عندها، سيكون لها "عين" لتطالب بالسكن المؤقت في نابلس. أما والحال كذلك، وهما يتعكزان على راتب مقطوع، فالحال لن يتغير، وستبقى وزوجها ينتظران مع كل بداية لفصل دراسي تجديد العقود، ومع كل تجديد، تتجدد الأحلام، ويتجدد التأجيل لتلك الأحلام.

تُغمض الطفلة عينيها وتصعد، تكاد تتعثر أكثر من مرة لكنها لا تخفق في الوصول للقمة المطلة على الفراغ ... ترقص وترقص، لا تقترب ولا تبتعد ... .

والأم المنتظرة تحاول الانفلات صوب الحياة من ثغرة ما، والإمساك بشعاع الشمس التي تشرق كل صباح من روحها، تقول لزوجها دوماً: "بداية كل صباح أشعر بشيءٍ يضيءُ ذاتي، كأنها الشمس، وما أكاد أمسك بعض شعاعها حتى تتكسر تاركةً شعوراً خاوياً، لعله الانتظار،

وقبل مغيب الشمس على العالم، تكون قد اختفت آثارها، انتظر صباحاً آخر، عساني أمسك بقرصها فلا تخفت أبداً".

وهكذا تسقط أيامها تباعاً وهي تنتظر إطلالة ما، محاولةً الإغماض عن همسات الآخرين المسموعة: "أنت على أبواب الثلاثين، إن لم تنجبي الآن سيكون من الصعب الحمل أصلاً بعد ذلك"، "لا قيمة للزواج بدون أطفال"، "الرجال لا ينتظرون كثيراً عندما تكون المشكلة لدى المرأة" ... .

لكنهم يعلمون، وهي تعلم أن المشكلة لا تكمن في التنقل، فكثيراتٌ من زميلاتها يأتين من أماكن بعيدة، ويستمر حملهن حتى نهايته ... المشكلة في عثرة ما، قد تكون حكمة إلهية لتتعلم الصبر، فهي تفكر وتحيا على إيقاعات سريعة، تريد العمل والاستقرار والتهام الروايات والكتابة والمجاملة في فسحة ضئيلة من الزمن. وزيادةً على ذلك، رغبتها الملحة للاستزادة بدراسة ماجستير في الإعلام، لكن ذلك يختلف عن سواه، فإن احتاجت طموحاتها الأولى للوقت، فالأخيرة تحتاج لدخل ثابت، غير متقطع. وهي التي تؤجل علاج سن ينخره السوس لشهرٍ كاملٍ أحياناً، فكيف سُتقدِمُ على مشروعٍ مكلفٍ كالماجستير!

كم تمنت وهي تصارع الوقت لوصول بيتها مبكراً، لو أنها تمتلك سيارة. لكنها تُقصي تلك الأمنية بعيداً، فلا وقت أصلاً لتركيب جناح غيمة، "لا يجدر بي تحضير الفرس قبل الفارس"، تحدثها ذاتها ... .

ترفل صغيرتها في فستان ساحر، وتستمر في الرقص على أطراف أصابعها مغمضة، لا ترى أمها المتلهفة لاحتضان بعضها، تبدو ثابتةً أكثر، لا تتعثر، تتراءى كاملة الروعة لا ينقصها سوى طوق "قرن الغزال" ... تجهز الطعام سريعاً لتمضي وزوجها في نزهة، رغم التعب، لجمع "قرن الغزال"، ولا تعود إلا "بضمة" كبيرة منه. وتنهمك في قطع بتلاته، ثم تمسك رأس وردة "الحنون" وتعكسه، وتقطع السبلات محدثةً فراغاً أسفل البتلات، ثم تشبكها معاً في خيط مكونةً طوقاً. كانت في طفولتها تحسبه نوعاً من الياقوت الذي كانت تسمع عنه. فقد كانت تستغل زيارة والدتها لجدتها لتتسلق "رجم قرن الغزال"،

الذي كان "يطفح" بتلك النبتة المذهلة، كانت تحتار أتبدأ بجمعه أولاً أم في "شكه" صانعةً طوقاً. لكن محاولاتها لنزع تلك القبعة تبوء بفشل وخسارة لقرون كثيرة تتمزق بتلاتها ... أما الآن، ولأجل طفلتها التي لم تصل بعد، فقد أصبحت صانعة أطواق قرن الغزال بامتياز، تنساب بين أصابعها كخرزات تتنسق تلقائياً. الآن فقط، تستطيع استحضار صورة أبهى لطفلتها. عندما ستأتي ستصنع لها الكثير، بل ستحتفل معها بعيد قرن الغزال، ولن يلومها الآخرون، إذ سيكون الجزء الأكبر من مسؤولياتها الاجتماعية قد تم، عندما تحدث معجزة استمرار الحمل!

يقول الطبيب إن الحل بإجراء جراحة للرحم، لُيزال الحاجز بين حجرتي الرحم، ليصبح حجرةً واحدة، وإلا فمن الصعب استمرار الحمل عندما يكون الرحم بقرنين. لكن من المستحيل إجراء الجراحة الآن، فقد يكون ذلك طموحاً ثانوياً كدراسة ماجستير أو امتلاك سيارة ...، كل ذلك يصطف في طابور الأولويات التي ستبدأ في تنفيذها حال فكاك "النحس" الذي يؤجل حصولها أو زوجها على التعيين. ذلك التعيين الذي سيترك العنان للمارد بتحطيم زجاجته وتنفيذ الأماني التي لا تنتهي ... .

المفتاح هو الصبر سيأتي كل شيء أخيراً ... حتماً سيأتي. لقد طبقت تلك القاعدة بأن أحاطت نفسها بأنواع الصبار جميعه. تلك النبتة المميزة التي لا تموت، وتتحمل العطش والشمس والبرودة، ستواسيها للمضي في الصبر حتى حين. لم يفلح غير تلك الصبرات في البقاء، "النيجرو" ماتت، و"المحكمة"، و"الست المستحية"، كلها فائقة الحساسية، ولربما يكون الجو ضاغطاً أكثر من احتمالها! "لكنني صبارة، نعم صبارة، لن يهمني الارتواء من تشجيع الآخرين، سأضمد ذاتي وحدي، وها هو زوجي يرطب لي الأجواء لأمضي"! تؤازر نفسها.

في المرة الأولى عندما أجهضت كان الجميع حولها مواسياً، بما أن لا مشكلة في الحمل سيأتون حتماً "ويملون الدار"، لكن في المرة الثانية صارت المواساة تأنيباً، وفي المرة الأخيرة أصبحت عداءً وتحميلاً للمسؤولية!!

ها هي تستبشر بحمل جديد، ستحتفظ بسره حتى يبشرها الطبيب بنبض الجنين، وإن لم يستمر الحمل، سيكفي النبض ليشهد لها بقابليتها لاحتضان الحياة. لسوف تعدُ تلك الطفلة الجميلة، التي لا تتعب من الرقص على أطراف أصابعها، ستعدها بفساتين كثيرة، وستغريها بأطواق قرن الغزال، وربما بعقد من الياسمين والنرجس، الذي سيكون مغرياً أكثر ... وستأتي أخيراً ويأتي أخوتها، قد لا يرتبط ذلك باستقرار العمل، وقد يكون الموعد لم يأتِ بعد، لكن لا ضير في الانتظار والإمساك بخيطٍ من النور ... هو الأمل.

جريمة ونصوص أخرى

فيروز شحرور*

١. جريمة

الساعة التي أحست بانبلاج حضوره فيها، تبسمت .. ضحكت .. قهقهت .. كادت تفرط كانفراط مسبحة.

"رجل .. إذن سيكون كباقي الرجال، سيبلل أذني بالحب .. سيعييني بالأسئلة الاهتمامية .. سيكون لي أدفأ من أنابيب التدفئة المعلقة إلى حائط منزلي، سأكون هاجسه اليتيم".

يرتج قلبها .. يرتج هذه المرة، يتجاوز مقاييس ريختر، وتضحك .. انفرطت كالمسبحة.

***

* مواليد عمان، الأردن ١١/٩/١٩٨٧. خريجة كلية الحقوق الإدارة العامة – تخصص إدارة عامة، جامعة بيرزيت العام ٢٠٠٩. تعمل في وزارة المالية/ رام الله. نشرت العديد من المقالات، والنصوص الأدبية والشعرية في مجلات وجرائد ومواقع أدبية محلية وعربية: جريدة **صوت النساء**، مجلة **فلسطين الشباب**، وكالة أنباء العراق، الحوار المتمدن، شبكة الأمين الإعلامية، دنيا الرأي، أصوات الشمال، الركن الأخضر.

هو .. الساعة التي أدرك لا منطقية حضورها فيه .. المنبهر من تشبع أمكنته بها .. التواق لها .. المطارد لرائحتها، وقلبه الذي صار يتبجح بالحب.. هو أيضا ابتسم .. ضحك .. قهقه .. "ستصهرني وتجمدني، هي أيضاً امرأة".

يرتج قلبه.. يضحك ..

.. يتعثر الحب منهما وبسببهما .. ويركد الكلام، ويلبس خفقان القلب في اللحظة.

٢. قسوة بلا قاع

من مروري اليومي والاضطراري أمام ذلك البيت المستقل الذي يبعد عن بنايتنا بضع بيوت وحديقة فارغة ... توصلت لمرحلة أتنبأ بها أو أعتقد على الأقل أن هذا البيت يلد حياة. فكلما صادف مروري من أمام البيت، استطاعت بضع صرخات خجولة أن تنساب من فتحات البيت رغم أنني لم أرَ، أو أصادف مطلقاً أنفاس الحياة، تلعب الباربي على إحدى شرفات البيت، أو تتسكع بشكل شيطاني صبياني في الشارع وهي تمتطي "السكوتر" وتهرس أقدام الجيران ... ولعل من أوصلني لذلك التنبؤ أو ذاك الاعتقاد بأن هذا البيت يلد الحياة، المساقات الكثيفة حول التفكير الإيجابي والطاقة الإيجابية التي تكسبك هالة روحية نفسية من أجل درء كل ما هو سلبي ... كل تلك المساقات التي دُحشت بعناية تربوية تلقينية، لجديرة بالتقدير لتأثيرها على سلوكي الإيجابي الحالي.

ظلت تلك الإيجابية اتجاه البيت تحكمني، إلى أن جاء يوم وأثناء مروري الاضطراري، كما في كل يوم من أمام ذلك البيت ... في طريق عودتي بالتحديد، انبجست صرخة واحدة متوحدة بليغة من الأحشاء ... صفعني الذعر وتبدد اعتقادي وتنبئي.

"أهكذا تولد الحياة"؟!

تآكلت الخطوات إلى ذاك البيت ... فاقتربت أكثر لأرى وجهي قبالة النافذة وعينيَّ تطلان على الداخل .. فجأة امتشقت الحياةُ مني من احتدام المشهد ... امرأة عشرينية ملقاة على الأرض في وسط غرفة الضيوف ... ودم يانع يغرغر في فمها ... ومتراشق عشوائياً على طرف الكنبة والبلاط، ورجل بدا وكأنه زوجها يقف من ورائها متجمداً، ويحاول التقاط أنفاسه المتناثرة من حماسه المفرط بضربها.

يرفع رأسه ... يقع الحزام الجلدي من يده ... وتذري اللحظة البريستيجية "الرجل المحترم في الحارة" .. ويتبدد اعتقادي أو تنبئي، فقد رآني من وراء النافذة .. وأنا رأيته.

٣. حياة

حينما رفع الستار عنها بعدما جمده القنوط .. تشنجت رسائلها العصبية لتفسير ما هو كائن. لم تكن انفعالاتها بقادرة أن تجعله يدرك أن الحياة قد وجِدَتْ لها أخيراً ... فمنذ رفع الستار .. تذوقت حواسها رائحة الورود الطازَجة، وأحست باتساع صدرها للهواء .. وصارت تحب طلاء بيتها، وزرقة السماء، ولم تعد ترى الفواحش بالطريق ولا كذب الرجال .. كما لم تعد تشعر باحتضار قلبها كل ليلة.

منذ قالا "أحبك" .. أدهشها مفعول الحب على الحياة.

٤. هذا ما يسمى حب

من تعود وجهيهما، باتا يترقبان في أية لحظة جملة: من بعد إذنكم، لدي موعد.

**

هما، بعد أن يتركا الأسئلة للجميع، لا يشعران بأقدامهم .. الخطوات تطير، القلب يانع يخفق بشدة.

هو، يتحضر .. يتوضأ بالرائحة التي يعشقها أنفها، يلبس كما اللحظة ويتسع قلبه متوهجاً بالعطاء ... .

هي، تزيح الوقت خارج نظرها وتقول "سأتزين له بالتفصيل" ... تنتقي لون حمرته المفضلة ... فستانه ... تسدل شعرها كما يحب وتفوح بالرائحة المشبعة منه وله.

**

كلاهما ينتصبان كلوح جليد في رحم كهف بارد، حتى تدق الساعة ويشع الموعد ... يظهر اسم الدخول وكلمة السر، ويدور شخصان متواجهان، لينقلهما إلى حيث تهجع الروح، "روحهما" ... إلى حيث يقيم الحب خارج الزمان والمكان.

قطعٌ منَ الذَّاكِرة

منال مقداد*

بدأتُ اليومَ الأخيرَ بكتاب رسميٍّ لرئاسةِ الجامعة، أُقدِّمُ فيه تبريراً لتغيُّب عن الحضور، ربَّما لشهرين كاملين حسبَ تقديراتِ الطبيب الأوّليَّة. هذا بالطَّبع بعدَ معاناة طويلَة حتّى تَمَّ إقناعُهم بالأمر. رئيسُ الجامعة تركَ إمضاءَه على الطَّلب، بعدَ ختمِ الجامعةِ وختمِه، وبصوتِه المغرورقِ بالدَّمعِ متردِّداً: "بالسَّلامةِ يا بنتيَ".

ابتسمتُ، أكثرُ من يضيِّعُ الفرصَ أنا، ولفكرةٍ أشبَهُ بالانتقامِ رددتُّ: "لكلماتِكَ هذهِ فقط سأسامحُك".

---

* مواليد المملكة العربية السعودية، تركت من العمر خلفها ثلاثة وعشرين عاماً، تخرجت من كلية الهندسة في جامعات غزة. كانت البدايات الأولى لها في الكتابة ولم يتجاوز عمرها اثني عشر عاماً، كانت قد بدأت بالقصيدة العمودية في مسابقة مدرسية، ولم تعيد هذه التجربة إلا بعد ثلاث سنوات، حيث أكملت كتاباتها في القصيدة العمودية، ومن ثم اتجهت إلى الشعر الحر. باشرت القراءة من فترة قصيرة، في الشعر والنثر والفلسفة، تشارك في العديد من الندوات والأمسيات الثقافية والأدبية والشعرية. انضمت لفريق يراعات الأدبي في نيسان من العام ٢٠٠٩ التابع لمؤسسة تامر الذي يهتم بالكتاب الشباب. منال تكتب الآن قصيدة النثر، أنجزت العديد من القصائد وفي صدد التحضير لطباعة ديوانها الأول، بعد أن شاركت في أمسية تابعة لجمعية الثقافة والفكر الحر بخان يونس، وأخرى في جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ضمن فريق يراعات.

يتساءلُ بمعالمَ من دهشة، أومئُ برأسي وأُضيف: "نعم، مارستُ ظلمَكَ عليَّ كأستاذ جامعيٍّ في مساق "مقدِّمة في الهندسة" قبلَ أربع سنوات ونصف منَ الآن، لتهبني ثمَاني وثمانين درجة، كانتْ المرَّةَ الأولى، لتزدادَ من بعدِها قائمةُ الثمانين في رصيدي الجامعي.

السّاعةُ على أبواب الحادية عشرة، أغادرُ الجامعةَ لأعودَ ثانيةً؛ على إثر اتِّصال من صَديقة تخبرُني عن نسخة من ديوان "عتم" للشّاعر "مهيب البرغوثي" التي بحوزتها وقد كانتْ لي. التقطتُ الديوان لأمضيَ ثانيةً إلى "مؤسَّسة تامر للتعليم المجتمعي"، تميلُ برأسها لأبادرَ مسرعةً قبلَ أنْ تطلقَ سؤالَها: "فقط ازدحامُ الطريقِ لهذا كانَ تأخيري".

المكتبُ كان خالياً إلا من "محمد" و"هاني" "وجهاد"، اختليتُ بصديقتي لتمنحني الخامسَ والعشرينَ من أيار حدّاً أقصى للعودة، لا مجال للصَّمتِ في حضورِها.

نغادرُ هنا إلى مكاننا لنجدَه قد ضجَّ بالزائرين. أقرأ الاشتياقَ والقلقَ والخوفَ في ملامحَ رفاقي والأصدقاء المودِّعين. تركضُ السَّاعاتُ سريعةً عبرَ أماكنَ أختلسُ زيارتَها، هاهي تنقضي الدقائق الأخيرةَ ولتعانقَ يدي طيفاً لرفيق من القدس شقَّ الطَّريقَ مودعاً. تقتربُ الثّواني قبلَ عودتي إلى البيتِ لتكونَ أفكاراً من جنونٍ، وأدمعاً من قهقهاتٍ نطلقُها في الفراغ.

صخبُ يومي أطفأهُ سكونٌ غيرُ عاديٍّ في هواءِ العائلة. أبي وأمّي في حالة من التَّرقب. أختي التي تصغرني كعادتِها في حبِّ المزاح: "واثقة أنا من ضياعك على المعبر"، أمّا أختي الصُغرى في عشقِها للتّفاصيل: "حتَّى هذه اللَحظة لم أجدْ تفسيراً لرغبتك المفاجئة في السّفر! أهذا بعضٌ من جنونِ الشّعراء"؟ أخي الصَّغير سيُجنُّ ليرافقَني، ويرمي باللوم على عاتقِ والدي، فهوَ المتَّهمُ الأوّل لعودته من الخارجِ وهو ابنُ الشُّهورِ الثلاثة. أمّا أخي وزوجتُه كعادتِهما اكتفيا بالصّمتِ المُتكلم، فيما ابنَهما يسرحُ في تقليدِ ذاك الممثّل في فيلم "كتكوت".

أهربُ منْ صمتِهم إلى عالم الانترنت، أتلمّسُ لحظات الفُكاهة والشَّوق والوجع، أتركُه لأصاحِبَ النّومِ فيتركني، قلقُ الغياب، مفاجَأة المكانِ، ورهبةُ المصيرِ المنتظر.

لمْ تتَّسِعْ حقيبتي إلا لكثيرٍ منْ ملابسي، كتبٌ جامعيَّةٌ وأخرى لا علاقةَ لها بالأمر، بعضُ أوراقٍ بيضاء، أقلامٌ ملوّنة، أدقُّ تفاصيل من ذكريات تعلو بها سماواتُ روحي بعيداً، وجهازي المحمول، هذا ما انتهتْ عليهِ. ليصدرَ أبي قراراً بإحكامِ غلقِها. ولاً ممن أرادوا أن أحملَهم في الحقيبةِ باتوا فيها.

أغرقُ في نومِ الفجأةِ لأبحرَ في أحلامٍ توقظُني في السّادسةِ صباحا.

جلستُ في فراشي كمنْ يبحثُ في تفسيرٍ لاختراعٍ عظيم، أوْ كمنْ يقرأُ رسالةً من الإلهِ وقد تجلّى فيها بعضُ من عجائبِ قدْرته. تدريجياً بدأتُ في الصَّحو، التقطتُ قلمي لأخطَّ به، على بياضٍ، كقلبِ أمّي، رسالةً في عيدها الذي سأغيبهُ حتماً، لأنّي أثقُ بدمعها سيُغرقُ حبرَها فكانَ سطري الأوّل فيها: "لأنّي أحبُّكِ، فلتقرأ صغيرتُنَا هذه لكِ".

اتّجهتُ إلى انعزالِ غرفتي – فقدْ جمعني أبي في غرفةِ أختيَّ، بعدَ عودتي من القدس، وكأنَّ قابضَ الأرواحِ ينتظرُني هناك. أفتحُ بابَ غرفتي بحنانِ أمٍّ تمسحُ على رأسِ وليدِها، أنظرُ إلى تفاصيلِها بصدمةِ طفلٍ فقدَ عائلتَهُ فامتنعَ عنهُ البكاءُ، ولربّما دهشتُه من لعبةٍ تقلّدُ صوتاً لحيوانٍ ما.

تاركةً وراءَ ظهريَ الباب، أجلسُ خلفَ مكتبي، أرقبُ ولادةَ النَّهارِ خلف ضبابيّةِ الزُّجاجِ، أعبثُ ببقايا أوراقٍ تركتُها إليه. على يميني يرقدُ سريري وحيداً منذُ الشَّهرِ تقريباً، الشَّمعةُ على يسارهِ لم تمتْ، فلم أعدْ أقرأُ الكتبَ خلسةً ليلاً على ضوئِها، وضعتُ رسالةَ أمّي برقّةٍ في كتاب "سريرُ الغريبةِ"، وقرصاً صلباً فيه أغنيةٌ اعتدتُ على ترنيمِها في عيدها كلَّ عام. تحتَ وسادتي الخاليةِ، تسقطُ عيني على نوتةٍ موسيقيةٍ قديمة، لأحنَّ إلى مقطوعةٍ أعزفُها على الأورغ المهجور منذ سنوات ... أبتسمُ قلقاً للتفاصيلِ المنثورةِ هُنا، وبهدوءٍ أنسحبُ كي لا أزعجَ هدأةَ سكونِها الطويل.

أعودُ ثانيةً، ما زالت أخواتي في نوم عميق. بدأَ صدري يعلو بالنَّحيب، لم أجدْ سواهُ ألقي على كتفه دمعي، هأتفْتُه، تجمَّدَ صوتُهُ، وما أردت أن أَلقيَ كلماتِ الوداعِ إليه. لحَظات تفصلنُي عن السّابعة لأنهيَ مكالمةً أخيرة. أرتدي ملابسَي ببطءٍ مفتعلٍ شديد، علَّ الوقتَ يطردُني؛ أخلفتُ المواعيد.

طبعتُ قبلةً خفيفةً على جبينَيهما لم توقظْ "مها"؛ فالصّواريخ كانتْ غير مسموعةٍ في آذانها، انما "إيمان" فقد قفزتْ من سريرها لتحتَضنني، هذه كانت المرَّة الثّانية. أبي يسبقُني بالحقيبةِ إلى أسفَل، أمّي تشربُ دمعَ عينيها، أنا أكتمُ حرقةً في قلبي، هي تنفجرُ باكيةً لأرتمي بين ذراعيها، أقبِّلُ كفَّيها، أجمعُ بقايا صوتي: "لكِ أنْ تأخذي مكانِي في النّوم" ابتسمتْ دمعتُها، غرفتي خطٌ أحمر.

قلبُ أبي أرقُّ من فراشة. الصَّمتُ يسيطرُ على أجوائي، خطايَ تتجمَّدُ، سيارةُ الأجرةِ تصلُ إلى المكانِ، أقبِّلُهُ بصمت، تخونُهُ قوتُه، يضمُّني تحتَ جناحيهِ دافئاً.

أستقلُّ المقعدَ الخلفيَّ في سيارةِ الأجرة، وحدي وعتباتِ الذِّكرى وخيوطِ الأمل، ضبابيّةُ الرُّؤيةِ تلمعُ، الآن كلُّ شيءٍ خارجَ السَّيطرة، ما زالَ هناكَ أملٌ وحيدٌ، هلْ أختلقُ مشكلةً على المعبرِ ليمنعونيَ من السَّفرَ تماماً؟

لا تفاصيلَ أذكرُ في الطّريق، لا غثيانَ من طول المسافة. بعد انتظارِ ساعةٍ وثلث الأخرى، يبتسمُ الجنديُّ مادّاً جوازَ السَّفرِ "بإمكانك التَّوجهَ من هنا"، الإحساسُ باللاشيءِ يمتلكُني، ألمحُ أخي منَ بعيدٍ، بعد غيابِ أربعِ سنواتٍ، لأنسى وجعَ ساعاتٍ ماضية.

تنطفئُ الصُّورةُ حولي، الأشياءُ أيضاً تختفي، لا وجوهَ في الشَّارع، ثقبُ السّماءِ يتَّسعُ فلا أجدُ بدايتَه ولا النِّهاية، وكأنّه عالمٌ فضائيٌّ مغبّر يجمعُ صدفةً لقاءاتِ الغربةِ الموحشة.

تركتُ الحقيبةَ من يدي، ركضتُ مسرعةً تصفعُني يدُ الرِّيح الباردة، بينَ ذراعيِّ أخي تدورُ بنا الأرضَ في فضائنا ودمعُ الاشتياقِ يُمطر صحراء اللقاء.

ورد وزيتونة

عدلة مهيب النجار*

واحدة ... اثنتان ... ثلاث، وهنا أيضاً خرزة ذهبية صغيرة، يا إلهي كم من الوقت سأحتاج لأعيد تجميع هذه الخرزات؟ في المرة القادمة سأشكلها بسلك من أسلاك الهاتف. لا ... ليس من الضروري أن أشكلها أصلاً، عبثا أحاول ... أقول ذلك دائماً ثم أعاود الكرّة. حسناً سأتخذ قراراً حاسماً، لا رجعة فيه، لن أشكلها مرة أخرى، سأترك هذه الخرزات وشأنها، ولن أعيرها اهتمامي، ثم ليس من عاقلة على هذا الكوكب تعيد شكل عقد للمرة العاشرة! خرزة ذهبية صغيرة من هنا وأخرى خشبية أكبر من هناك. ميزان لإيقاع هذا السطر وموازاته لعدد تلك الكلمات وتنتهي القصيدة بعقدة ليس لها حل، سوى أن أترك هذه الخرزات وشأنها، علها تتركني وشأني، إذ لم أعد أبالي بها إن سقطت على الأرض أو حتى من فوق الطابق العاشر.

ياه ... أوشكت أن أصل البيت وأنا أهلوس بلغة الخرز. في المرة السابقة دفعت بعدد من الشواكل اللعينة لذلك الصغير "تامر" ليجمع تلك

---

* حاصلة على شهادة بكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة القدس المفتوحة، وعلى دبلوم في الهندسة المعمارية من كلية مجتمع المرأة، تعمل في مجال الديكور وتكتب القصة القصيرة. حصلت على جائزة وزارة الثقافة الفلسطينية لسنة ٢٠٠٤ للقصة القصيرة عن قصة ورد وزيتونة.

الخرزات، مستخدمة الكثير من كلمات الرجاء والغزل. لكني قد اكتفيت الآن، إذ لن يجبرني شيء على جمع ما لا يُجمع بعد أن طرح أرضاً بين تلك الصخور وأوراق الشجر، وسأحاول أن لا أذكر عنه شيئاً، وخصوصا لأمي، فلست بمزاج يسمح بأن أتحمل المزيد من الأعداد، أعداد من التعليقات والنظرات والضحكات. مم ... ما أجمل أن يختصر المرء الكثير من الوقت بالقليل من الكلام والكثير من الماء الدافئ، ليستقر أخيراً في أحضان الفراش. وهذه النكهة التي تسري في حواسي مع كل رشفة من فنجان الشاي، ونفحة من عطر النعناع الطازج، ودقائق معدودات أخرى لسماع فيروز وتؤول جفناي للسقوط. تماماً كما سقطت تلك الخرزات بين الصخور وحبات البلوط، التي لم أستطع التقاطها، للصراحة لم أحاول، كان لا بد لي من المحاولة، كان بإمكاني أن أجمع نصفها على الأقل، يا إلهي عدت لأجمع وأطرح وأضرب من جديد ... هنا لب القصيد. فلولا محاولتي لضرب تلك الحشرة الشقية بالعصا لإفسادها صفوة تأملي وأنا أحلق في فضاء الطبيعة الآسرة، لما قامت العصا بالقضاء على عقدي بعد الاشتباك معه، والضرب بعرض الحائط لرغبتي في أن يبقى مجتمعاً ولو لشهر واحد. وإن يكن ذلك الاشتباك كان كما أكثر الاشتباكات والاغتيالات التي تحدث في وقتنا الحاضر، بغير قصد، والأكثر منها عدد الرغبات والأمنيات التي تُضرب بعرض الحائط. أريد النوم، أين أنت أيها النوم، يبلغ الوقت الثامنة بعد، وأنا أنشد النوم. سأحاول أن أقرأ بعضاً من صفحات كتاب "لجبران" علني أغرق في إحدى خيالاته وأغط في النوم ... .

يتحدث عن الموسيقى، ولا أجمل من موسيقى تغلغل النسيم في وريقات شجرة الكينا فوق التلة هذا المساء. وكيف تراقَصتْ فرحَةً لأبسط إيقاعاته. مرهفة الحس هذه الشجرة، ... التي أحبها. تذكرني بشجرة الكينا الضخمة تلك، وهي أضخم ما رأيت في حياتي، ولكأن ضخامتها هوية أبدية لزارعها قبل عشرات السنين.

لماذا أتذكر هذه الشجرة بالذات؟ ربما لوجودها في منطقة من أجمل مواقع المدينة المقدسة "الشيخ جراح"، أو لِجثوها على قلب من انتزع

أهلها من مدينتهم، تقول ما لا يقال وتفعل ما لا يفعل، باقية دون هوية زرقاء، وعلى عكس تلك الزيتونة المسكينة التي اقتلعت. الزيتونة التي كانت هناك فوق تلك التلة وبين أخواتها من أشجار البلوط والزيتون والتين، واللواتي اقتلع الكثير منهن أيضاً. لكنها كانت الشجرة الأجمل والأبهى، رغم كبر سنها الذي زاد من نضارة ثمرها ووقار طلتها، اقتلعوها ولم يأبهوا لبركتها وقدسيتها. ولكونها الشجرة الصعبة الاقتلاع، والمتجذرة في باطن الأرض، فقد استخدم، هؤلاء الوحوش، الأضراس الحديدية.... دُكت الأضراس دكاً في أوصال الأرض محاولين استخراج شرايين تلك الشجرة بقوة الضعفاء. بكت تلك الزيتونة على نفسها، على أهلها وزارعيها. وتساقطت دموعها زيتونة زيتونة، بحجم ألمها ومخاضها، إلى أن أمست خائرة القوى، وبعد طول عذاب أجهضت، أجهضتها تلك الأشياء المتحركة ذات الوجه الآدمي والعقل الآلي، أصحاب الأرواح المشردة، التي لا تستقر إلا في طقوس ليس لله تعالى منها إلا ما لا ينسب له. وبقيت الزيتونة على أرضها غارقة في غيبوبتها الأبدية، شاء قدرها أن تبقى دون حراك، مستقرة كمقعد خشبي لزائري الطبيعة فوق تلك التلة.

كنت بجانبها هذا المساء. ما أجملها من لحظات سكون وتأمل لكلتينا مرت دون حراك، إلا لوريقات الشجر. لم يعكر صفوها إلا تلك الحشرة البغيضة التي تسببت في تطاير خرزات ذلك العقد المميز بصناعته اليدوية. جهود جبارة وضعت في صنعه. ياه ... رغم صغر سنهم ونعومة أظافرهم، إلا أنهم يتسابقون على تجميع تلك الخرزات ويتصايحون، يتضاحكون، ويلهون حول تلك الشجرات. أذكر يومها كمية الحلوى التي قام "سامي" بشرائها لرشوتهم كي يتنافسوا على زيادة عدد تلك الخرزات. كما أذكر تماماً عدد تلك الأيدي الصغيرة التي قمت بمداواتها، متسائلة عن سبب إصابتها بجروح طفيفة. متجاهلة لتجاهل أصحابها سؤالي مما زاد من انشغالي عليهم. لكن، كالعادة، قام ذلك الصغير "تامر" بإفشاء السر، أو ما أرادني أن أعتقد أنه السر. كان ذلك بعد أن أبديتُ رغبتي في مساعدته بصنع الطائرة الورقية ذات الوجه الضاحك والذيل الملون. أخبرني أن القصة بدأت عندما طلب

منهم سامي الإعداد لمفاجأة عيد ميلادي، إلى أن سرقت منه "سلمى" الجميلة حصته من الحلوى، ما اضطره لشد شعرها الذهبي. مع كل تلك التفاصيل التي ذكرها الصغير "تامر"، إلا أنه لم يتسنَّ لي معرفة ما يقوم الصغار بصنعه. لقد كان أذكى من أن يذكر التفصيل الأهم "الهدية التي تسببت بهذه الجروح".

أتى تامر في اليوم التالي طالباً من أمي القليل من الزيتون، مبرراً طلبه هذا بأن لم يتبقَ منه في بيتهم إلا القليل، بعد أن أعطته أمه مرة وثانية حتى ضاقت ذرعاً به، ثم رفضت إعطاءه في المرة الثالثة، وبخاصة أنه لم يكنْ زبونها الأول بعد أن أعطت كلاً من صديقته سلمى وأخته تالا. واختصاراً لأسماء الفرقة الكشفية، قامت أمي بإعطائه ما طلب إضافة لوعاء مليء بالزبيب للصغار ... إنهم يحبونه ... وهم من ساعدوها في جني محصول العنب. ذهب تامر، وخطر لي اللحاق به، وما أن أدركته، حتى كنت قد وصلت تلك التلة، ويا لدهشتي من المشهد الذي رأيت. مشهد لا يمكن أن يمر على مخرج، جنونه الإبداع، إلا وحاول إعادته في إحدى لقطات فيلم العمر. مجموعَة من الأطفال وكأنهم طابور من النمل، وكأنه خرج عن مساره المعهود بأن قرر أكل ما جمعه في الصيف من طعام. ... نعم لقد التهم الأطفال صحونا من الزيتون، الزيتون ولا شيء غير الزيتون، وكأن خبر اقتراب انقراض شجرة الزيتون قد أشيع في الأنحاء، والأغرب من ذلك هو تلك الشهية المفقودة التي تتزايد بوادرها على وجوههم مع تزايد التهامهم الزيتون، يأكلون ويأكلون دون كلل أو ملل، دبيب نمل متواصل لم يقطعه إلا صوت شجار بدأ بطفلين وامتد ليصل البقية، إنهم يتشاجرون على سرقة، لا بل سرقات "عجم الزيتون" من بعضهم البعض. كل ذلك وأنا مسمرة في مكاني لدرجة أن أحداً لم يلحظني. بدأ الزيتون وعجمه بالتطاير وكأنه خلية نحل قد ثارت عاملاتها فجأة لسماعهن بخبر يهدد حياة الملكة، فهرعن يَحُمْنَ دون مستقر. عندها لم أتمالك نفسي فأخذت أضحك وأضحك، وما أن سمع الأطفال ضحكاتي حتى سكنوا في مكانهم دون همس أو حراك، ما زاد من دهشتي وحيرتي، إذ خيل لي حينها بأنهم قد تفاجئوا بي مطراً منهمراً فوقهم، فيما هم يحتفلون بالعيد مرتدين ملابسهم الصيفية الزاهية ... .

فجأة، أيقنت بأن علي الانصراف لا شيء إلا لذلك الشعور الذي انتابني عندما لامست نظراتي ذلك الإحساس الطفولي، إحساس رافض للتطفل، إحساس أشبه بمرآة شفافة تستطيع أن ترى من خلالها ما تشاء من صور الأطفال وتحركاتهم ... إحساس يغريك ... يحرك في داخلك حب الفضول أو على الأصح حب التطفل، لتمد يدك، لتلامسها، لتسترق منها لحظات لربما تمنيت أن تعيشها، أو تحتفظ بها. مرآة تغمرها بجفنيك وتطبق عليها، فتكتشف فجأة أن يدك قد اخترقت تلك المرآة التي ما انفكت تتموج كصفحة ماء لامستها ورقة شجر لتضيع تلك الصور، التي ظننت بأنك جزء منها. عندها ترى صورتك في داخلك بإحساس ذاك المتطفل الذي كنت قد رمقته بالنظرة نفسها ذات يوم. نعم، انتابني ذلك الشعور يوماً عندما كنت طفلة، كنا نرسم ونرسم جالسين في ظل شجرة البيلسان الحانية بأغصانها، وما أن نشعر بقدوم أحدهم حتى نتذكر فجأة، "وكأننا لا نعرف"، بأننا قمنا بخلط التراب بماء كنا قد عبأناه في قوارير عطر فارغة ليستخدم كمادة ملونة، نأخذ العيدان من أغصان الشجر ونرسم بها، ربما ليس لهدف نريد أن نصله أو لشكل نرغب في تصويره، إنما لاستحضار ذلك الشعور في داخلنا بأن هناك ما يخصنا من أدوات وتعابير، كتلك التي استخدمها الأطفال يوم عيد مولدي. لقد رغبوا في أن احتفظ بتلك اللحظات الرقيقة والراقية، لحظات دفء طفولي يدغدغ مشاعرنا الإنسانية لحظة لمسنا ملامحه، عاشتها أناملي، خرزات طبيعية من عجم الزيتون، تناغمت إحداها مع الأخرى بلحن يغني الطفولة التي أبدعتها. هذه الخرزة الأفتح لوناً، كانت لزيتونة خضراء أكلتها الصغيرة "تالا". إنها تحب الزيتون الأخضر. أما الخرزة الأكبر فهي لزيتونة من ذات حجمها "سليم" من أكلها، لتساعده على أن يكبر بسرعة كما يحب. والصغيرة هذه، لا بد وأن تكون الجميلة "سلمى" من بَرَدَتْ طرفيها بدقة متناهية، لتصبح بهذا الشكل الأسطواني المتناسق كما تناسق نعومتها. وهناك خرزة تتحرك بصعوبة من بين هذه الخرزات، وحال خرمها الضيق يقول، إن "تامر" هو من قام بخرمها. علق تامر ببراءة "كانت إبرتي صغيرة"، تطايرت ضحكات الجميع كفرح الفراشات.

تأملتُ جمال العقد وتنسيقه، خرزةً تلو الأخرى، بذوق رفيع. ومن غير "سامي" أقبلت يداه الساحرتان، وبخفة، خطف العقد من يدي، وبلمسة طوق نحري به، وصوته يقول "كل عام وأنت بخير يا ورد ...". عندها تفتحت تلك البراعم في داخلي لتصبح وروداً حقيقية تنبض بالنضارة، أسمع اسمي يتردد دائماً، لكن لم يخيل لي أن يكون لوقع حروفه ذلك الرنين الأخاذ. جاذبيةٌ تشع من عينين تمتلئان أماناً وحناناً ... آه وذلك العقد الذي تركتُ خرزاته نائمة بين تلك الصخور لتعاقبني ذكرياتها، لتطاردني، وكأن هذه الليلة بألف خرزة وليلة. غريبة هذه الليالي ومضحكة هذه الحياة، فكثيراً ما يجب علينا فعله فيها، وكثير ما نحب أن نفعله فيها، وفي كلتا الحالتين لا نفعل فيها إلا القليل، إما بسبب القدر وإما بسبب ... البشر.

الله ... صوت "فيروز" صباحاً يغني من جديد، كالعسل ... عسلٌ كيفما تشربه لذيذ، ولأي داء تتناوله فهو شافٍ.

أمم ... رائحة حَبِّ الهال تفوح من قهوة الصباح. سأسرع في إنهاء فروضي الصباحية، وإلا لن أجد ما أشربه مع تزايد عدد الأصوات في البيت، عندها سأحتاج لشرب ثلاثة فناجين من القهوة كي أقوى على تحضير فنجان واحد ... كالعادة ... لقد حصل ما كنت أتوقع، لم يبقَ على الشرفة سوى فناجين القهوة الفارغة وسلمى الصغيرة "صباح الخير يا سلمى"... آآ... لقد قامت بإرجاع ما تبقى في الفناجين من قهوة إلى إبريق القهوة، على القهوة السلام.

– صباح النور، "ورد" ... أترغبين في تناول فنجاناً من القهوة؟ أني أحضرها: لا شكراً حبيبتي، دعيني أساعدك في حملها للمطبخ، أين الجميع؟

– لقد ذهبوا لبيت جارنا "أبو معتز"، دعاهم لتناول القهوة، لم يبقَ في البيت إلا قريبتك "غدير"، إنها تساعد أمك في تحضير الفطور في المطبخ.

– الفطور، هذا بالضبط ما جعلني أصحو رغم شعوري بأني ما زلت نائمة، صباح الخير، "غدير" لقد ظننت بأنك ذهبت للقدس البارحة، سعيدة لرؤيتك مجدداً.

– صباح النور، عزيزتي ستريني هنا بين حين وآخر إلى أن نجد حلاً لقصة الملك والحمار.

– هذه ألغازك مجدداً، دعينا نتناول الفطور أولاً و ...

– عزيزتي ليس هناك من ألغاز في هذا البلد، والحل الأسهل لحل الحواجز على الطرقات ولكي أدخل إلى القدس بسهولة هو أن نقتدي بقصة الملك الذي طلب من أحدهم أن يعلم حماره القراءة، فوعده الآخر بذلك في غضون أعوام معدودة، وعندما سئل معلم الحمار الملوكي عن وعده هذا، أجاب بأن أمامه عدة سنوات، لكن ليس لتعليم الحمار لأنه حمار أصلا، بل لأن الله وحده هو القادر، على أخذ الحمار أو أخذ الملك أو أخذه هو.

– "غدير" أرجوك دعينا نهنأ بصحبتك بتناول الفطور، ودعك من حديث الحمير ومعلمها الآن، الفطور يبدو شهياً، ماذا لدينا؟ لبنة، زيت وزعتر ... زيتون اخضر، الله، ما أجمل حباته وكأنها لم تعصر بعد.

– نعم، إنه مميز بالفعل، إنه آخر ما تبقى لدينا من مخزون شجرة الزيتون تلك.

– لماذا ؟ أتذكر بأننا قد قمنا بتخزين الكثير منه، لقد كان موسم خير، وبخاصة على تلك الزيتونة المسكينة.

– نعم صحيح، لكن أتذكرين حفلة الزيتون تلك، الحفلة التي أقامها الأطفال، لقد كان زيتون تلك الشجرة هو الضيافة فيها، إذ قمت بتوزيع الكثير منه على الأطفال في ذلك الوقت.

– أتعنين أن كل ما التهمه الأطفال من زيتون ... كان من تلك الشجرة المسكينة ... يا إلهي؟!

– ورد أين تذهبين؟ إنك لم تتناولي فطورك بعد .. ورد.

– أمي سأعود، أرجوك احتفظي لي بهذا الزيتون، سأعود لأكله، فهناك مناسبة قادمة.

لا بأس، إنها لا تزال في مكانها، لابد أنها في مكانها ... بين تلك الصخور وأوراق شجر البلوط.

نعم، إنها هنا، اعرف بأني مجنونة، لا بد من أنني مجنونة، إذا ما حاولت التقاطها مجدداً، ولكن لا بأس فالحب جنون.

خرزه ... خرزتان ... ثلاث خرزات ... .

"سوبر وُمَن" حياتي

هند باسم فرح*

دخل يُتمي عامه الثامن، وأنا الآن كبيرة بما يكفي لأتيقّنَ هول ما حلّ بنا كعائلة (نصر الله). فعلى طول السنوات التي خلت، كنت الشاهدة على حرمان أمي وأخوتي الثلاثة من فقدان الأب. كنت أرى دوماً ذلك الصدع الداخلي الذي شق حجاب هيكل بيتنا الصغير يوم غادرنا أبي، لكن الأمور تبدو أوضح الآن. أذكر ذلك اليوم جيداً، وليتني أنجح في إزالته من ذاكرتي، يوم شيّعنا جثمانه، وتجرّعنا المرّ جميعاً. يومها صرختْ أمي بتمزق داخلي، ثم رثته بصمت ودموع، ثم عانقت صليبها الثقيل وأوكلت الرب مُصابها. كان صدى الخبر بمثابة فجيعة لها، وعلى الجنين المختبئ في أحشائها. همّت تحسب ما تبقّى لها من أشهر قليلة، لتستقبل بعدها أختي "بسمة"، التي كانت قد استوطنت رحمها خمسة أشهر حينها.

في ليلة الجنازة الباردة، أحسسنا الموت جميعاً. بدا القدر وكأنّه يخيّط لنا أكفاننا ببطء شديد، وارتسم المستقبل أمامنا صحراء قاحلة. اتّشحت أمي بعدها بالسواد سنوات عدة، ولكم حاولتْ مراراً أن تخبئ أمامنا ذلك الصقيع الذي اجتاح أزقة روحها من بعد ذلك اليوم المشؤوم، لكنها لم تفلح في معظم الأحيان.

---

* جامعة بيرزيت، طالبة ماجستير، مجموعة مسابقة "عايدة".

لطالما حبست دمعتها أمامنا، لكنني كنتُ أتنبّه لحشرجات صوتها وهي تتلوى حسرة ووجعاً من الحِمل الثقيل الملقى على كاهلها، وقد أصبحنا خمسة في المنزل.

كان ترتيبي الكبرى، وآنذاك كنت لا أتجاوز "الثالثة عشرة" عاماً، وأختي الثانية "ليلى" تصغرني بعام، والثالثة "مريم" ابنة التسعة أعوام، وآخر العنقود المدللة "بسمة". ارتدنا جميعاً المدارس الخاصّة، الأمر الذي زاد من المصاريف التي لا تنتهي، من الفواتير، وأقساط المدارس، إلى تأمين لقمة العيش لأربع بنات يتطلبن المزيد دوماً، بل ويتوقّعن الحياة مغطّاة بالسكاكر والحلوى.

حين توفي والدي، كانت أمي تبلغ الثانية والثلاثين سنة، بشرتها خارطةٌ لوطن مهجور لم يُكتشف بعد، وقوامها معتدل، وشعرها حالك السواد كليل أبكم، تتكحّل عيناها بالدموع عند ذكر اسم أبي، ثم تغرق بعدها في صمت طويل، وتعود وتكسره بابتسامة مصطنعة، تحاول من خلالها تخفيف كربتنا وتخدير ذاكرتنا، بمورفين الفرح المؤقت.

الآن، وبعد ثماني سنوات، وقد بلغت الحادي والعشرين عاماً، أراجع شريط الذكريات التي أمضته بصحبتنا، وهي تواظب على حب أبي بحضور ذكراه التي ما فارقتها البتة، وبالمحبس الذي لم تخرجه يوماً من إصبعها. كيف استطاعت بحقّ السماء أن تنتزع من الترقب الضجر، وهي تشهد نمونا أمامها؟!

لا تبارحني صور عدة من شريط أيام ترقبها تلك. فأذكر كيف كان يقرع قلبها كطبل أفريقي مجنون، وتستشيط غضباً لفرط خوفها علينا عندما نتأخر بعد السابعة مساء، وكيف تهرع مستنجدة بالصلاة كلما أوغلت سحابة مظلمة سماءنا.

فمهما جردت قلمي ونزعت عنه كساء الصمت، لن أستطيع أن أمنحها فصاحة ما تستحق. كثيرة هي الليالي التي سهرتها متنهدة زفراتنا، ومزخرفة طرقات مشوارنا الصعب بالصبر والعزيمة. فكانت لنا نبراساً مضيئاً في الظلام، وعكازاً لجميع العثرات التي مررنا بها.

قدمت نفسها قرباناً على مذبح الحياة القاسية، واتخذت عملاً تستطيع من خلاله تربيتنا، فكان بيتها أولويتها، وهو الحد الفاصل لعالمها الصغير بين المنزل وعملها في مكتبة "شاربين". لا أنسى سجداتها الكثيرة كل يوم وهي تتعبد فجراً، وتدعو لنا بالكثير من النجاحات، وتضيء لنا شمعات الفرح والأماني المستقبلية.

تمرّ محطات بمخيّلتي، أشهد أنها كانت مساندتي الوحيدة فيها. آخر موقف يعود لمحنتي في العام المنصرم. لا أدري كيف اكتشفتني متلبسة بيأسي. عانقتني بحنان لم أعهده أبداً، يومها بكيت وبحت لها بحب زميلي المتعجرف في الكلية. أضحك عندما استذكر شتمها اسمه، وهي تربت على كتفي، وتأخذني بحضنها الرؤوم، وتحفر كلمات عزاء كالإزميل في قلبي: "إن الألم هو الخبز الثاني للإنسان، فهو يُصقل ويكبّر، فلا تكترثي لذلك المعتوه الذي لا يقدر عينيك اللوزيتين يا فرحي". كان بودّي أن أحنط الزمان هناك، فقد كنت أعيش أبدية من الحنان بين يديها.

لا أعرف كيف تبدد صقيع الأيام لي ولأخوتي، وما هو السحر في كلامها الذي يهدئ من روعنا دوماً، حتى عندما يقرص الخوف أطرافنا وتشكنا الحياة بخنجرها، ويثقلنا الحزن من عهر الأيام الفظيع. تطلع كالمارد بيننا وتشحننا بطاقتها الإيجابية، مع بركاتها ودعواتها الدافئة. فما زلت لا أدري كيف تكشفنا متلبسين بيأسنا!

ما زلت لا أنسى تبخترها، ومشيتها كطاووس مهيب في تخريج (مريم) المدرسيّ، عندما حصلت على شهادة شرف. أبتسم كلما أتذكر كيف رمقت الأمهات الأخريات بتكبّر وفخر كبيرين، كأنها سيدة الكون.

ولا تغيب عن مخيّلتي تلك الليالي الخمس التي تسمّرت فيها بجانب (ليلى) يوم مرضت ورقدت في المستشفى، قضتها يقظة مسعورة باللهاث والدموع وهي تهذي بالصلوات، لتتيقن من صحتها ولتطمئن عليها.

أستحيل حباً آخر غير مشروط كحُبّها. كم تشبه هيكلاً متّقداً بنار حب مقدسة نحونا. وكم طالعت أوقاتاً منسوجة بالأشواك مع أربعة أكوامٍ من اللحم وحدها في عالم ينهش الأنثى ويستضعفها!

أنا الآن في الأشهر القليلة قبل تخرّجي من الجامعة، أستعدّ مشاركتها فرحتي الكبرى.

فيا حبذا بزوغ وجهها لكي ألمح مولد خطواتها أمامي، لتجدني نظراتها وأنا أعتلي المسرح. أتخيل المشهد بشغف، لا أعرف، لكنني متأكدة من ذلك الحزن البهيّ الذي سيتلبسها، وعودة ذكرى أبي لتتسكع على مدخل روحها، لكنها لن تخذلني وسرعان ما ستصفق لي، وستدهشني بزغرودة مهللة فرحة.

أمي، (سوبر ومن) حياتي والمفضلة لدي، أصلّي بخشوع لكي تكون آخرتي بين فردوسها المخمليّ "يديها"، لأهمّ بتقبيلهما. آه كم أجثو لقدسية نفسي الشقية بيدها المباركة.

أمي .. القلب صغير والحب كبير، يا له من احتواء غريب، إلا أن حبي لك لا تحتويه كلمات.

للتي علمتني النطق بأحرف العربية

وصفقت لي عندما أتقنت الأبجدية

وحفرت قبلة على جبيني عندما نطقت كلمة "وطن"

ووضعت لي علامة عليا عندما أجدت القراءة والكلام

إلى تلك التي ألبستني معطف الدفء والحنان، ولملمت فوضاي المبعثرة

وتمتمت أهزوجة في غربة ليلي

لمن حاولت إسدال ستارة الشدة بالعبوس أمامي

لمن أتقلّد حبّها وساماً ونيشاناً بفخر واعتزاز

إلى ملكتي وحليَ وتاج رأسي

طوباكِ أمّي

فما عساي إلا أن أضمّ الشين وأسكن الكاف وأفتح الراء وأنوّن الألف وأربطها برباط من المحبة والتقدير لتكوين كلمة (شكراً لكِ أمي).

المجموعة الثالثة

هـمـوم فلسـطينية

الرسالة الأخيرة

آلاء إبراهيم جاد الله*

كعادتها، توجهت الممرضة إلى الغرفة رقم ٢٣٤ لتعطي الحقنة للمريضة القابعة هناك. تلك المحيرة التي لا تنفك عن الكتابة أبداً. ولكن عندما دخلت إلى الغرفة، كان القلم الذي ما انفك عن الكتابة طيلة الشهور الماضية، مرمياً على الأرض. والورقة التي ما فارقت حجر مريضتها وضعت على طرف السرير بشكل عشوائي. فتوجهت، مفزوعة، إلى الأجهزة لتتفحصها، فقابلها طنين رتيب، أدركت حينها أن المنية قد وافت مريضتها.

وبعد نقل المريضة، بدأت الممرضة تفحص الورقة التي احتفظت بها، علها تجدَ مُستَقْبلاً لها، أو إشارة لاسم أو عنوان، فبدأت بالتفتيش في وجه الصفحةَ وظهرها، وعندما لم تجد شيئا أعطت لنفسها تبريرا لفتح الرسالة، حيث ... استقبلتها السطور بشغف، وكأن الرسالة كانت متلهفة لقارئ:

---

* أدرس اللغة الإنجليزية، فرعي الترجمة في جامعة بيرزيت، سنة رابعة، هوايتي الأساسية الكتابة.

ابني..

لربما جاءك الخبر وأنت جالس في زنزانتك المقفرة تلك، وأنت تقاسي الجوع والحرمان. ولربما سمعت الخبر وأنت جالس على مرتبتك المهترئة، مطالعاً كتاباً من كتبك الكثيرة وحاملاً في يدك سيجارة يملأ دخانها أجواء زنزانتك الصغيرة. أو لربما سمعت الخبر وأنت تكتب رسالة لي، كعادتك يا حبيبي، لتطمئن عن أحوالي. ولكن، آه يا بني ... آسفة أنا.

فما كنت أتمنى إغضابك، ولا كنت أتمنى حزنك، ولا كنت أتمنى خروج دمعة من مقلتيك لتتدحرج على وجهك الوسيم. ذاك الوجه الذي فيه الكثير من والدك الحبيب. ولكني لن أرى دموعك يا ولدي، بل لن تتاح لي الفرصة لأحضنك يا فلذة كبدي ولو لمرة أخيرة. فهذه الرسالة ستكون الأخيرة ، فلقد تمكن المرض مني وانهكني، وأعلموني بأن أيامي باتت معدودة ... .

فلم أكن متلهفة لشيء في هذه الأيام إلا للكتابة لك. ومع أن المرضة ما كانت لتعطيني الفرصة للكتابة، إلا لعشر دقائق يومياً. ومع ذلك كنت أستغل كل عشر دقائق من أسبوعي الأخير للكتابة لك، لأشعر بك بجانبي، ساناداً رأسك الجميل على كتفي.

صغيري

أذكر يوم ولادتي لك، كان يوماً عاصفاً ماطراً، فما زلت أذكر تحذيرات مذيع النشرة الجوية من مغبة تساقط الثلوج. وقد كان مخاضي عسيراً كأجواء ذلك اليوم، إذ كنت أنت ولدي الأول والأخير. ففي ذاك اليوم، كان قد مضى على وفاة أبيك خمسة أشهر، وكنت أنت الصبي الذي أبصر النور يتيماً. كنت وقتها قد عاهدت نفسي على أن أكون لك الأم والأب والأخ والأخت، إذ، لأجلك فقط، أحسست بقوة هائلة زرعت في عروقي لمواجهة صعاب الحياة والتغلب عليها.

حبيبي

كنتُ أبكي كل ليلة، لأنك لن تعرف ما معنى كلمة "أبي". فقد ذهب أبوك إلى مكان اللاعودة. وأنت يا صغيري لم تحظى بفرصة لقاء ذاك الرجل المغوار الذي قضى نحبه فداءً لله والوطن. ولكني كنت دائماً أراه فيك، فأضحى بكائي بهجة وفخراً.

ما زلت أذكرك يا صغيري، يوم خرجت في أول مظاهرة لك مع زملائك، أبناء أم أحمد وأم سمير. أتذكر، يومها توجهتم إلى الحاجز وقذفتم الجنود بالحجارة، وعدت إلي مشجوج الجبين، منهوك القوى. في ذاك اليوم أذكر أنني لم أنهرك، ولم أمنعك من الذهاب مرة أخرى، بل احتضنتك وقبلت ذاك الجبين المشجوج وقلت لك: الولد سر أبيه.

فحضنتني بدورك وأعطيتني حجراً من الحجارة التي جمعتها لتقذف بها العدو المحتل. ذاك الحجر الذي ما زلت احتفظ به حتى الآن، في ذاك الصندوق الفضي المجاور لسريري في البيت، فكم كانت دموعي تمتزج بضحكاتي عندما أتلمسه في كل ليلة، ما قبل النوم. ولكن ذلك الصندوق ما عاد بجانبي يا بني، فبجانبي الآن أجهزة لا أفهم كنهها، ذات طنين رتيب، تُنبئني بعدد دقات قلبي. ولكأن هذه الأجهزة المبرمجة، تقيس ما تبقى من حياتي بعدد دقات قلبي. ولكنها يا بني، أجهزة تجهل أن قلبي يدق لمعرفتي أنك سالم وصامد، كشجرة في مهب الريح.

حبيبي

ما زلت أذكر دهشة أقربائنا وجيراننا يوم اعتقالك، فيومها يا بني لم أبك، ولم أبدأ باللطم والعويل، بل جلست بكل هدوء وحمدت الله. لم يكن ذاك التصرف تصرفاً مثالياً، ولا تصرف امرأة خارقة، كما نعتني البعض، بل كان إدراكاً مسبقاً يا بني لإمكانية استشهادك أو اعتقالك. فقد كانت حياتك كلها نضالاً وكفاحاً ومظاهرات، ولم أتفاجأ، لعلمي أن البكاء واللطم والعويل لن يعودوا بك إلي، فتقبلت أمر الله، مع أن قلبي وأحشائي كانوا آخذين بالتقطع كرباً عليك.

وبقيت هناك يا بني، بعيداً عني لمدة سنة وتسعة أشهر دون حكم ودون زيارة. ولم يبقَ محام إلا وذهبت إليه، ولكن يبدو أنك كنت من أبرز المطلوبين على لائحتهمً في حينها، فلم يكن هناك سبيل لا للتفاوض ولا للنقاش مع الصهاينة الغاصبين. وعندما حان وقت محاكمتك، رأيتك ... رأيتك يا فلذة كبدي، وكان هذا جل ما أردته من هذه الدنيا، ولكنك كنت هزيلاً مريضاً، خائر القوى. فخفق قلبي وجوماً أن تكون عزيمتك قد تأثرت، ولكنك التفت برأسك إلي، فرأيتُ عينيك، حيث ما زال ذاك البريق يشع فيهما، بريق التحدي، بريق الأمل. وعندها فقط اطمأن قلبي، وعلمت أن عزيمتك لم تضعف، وإنما صقلت لتصبح أكثر قوة وصلابة.

صغيري

لعلك تتساءل، لماذا تسرد لي أمي ما حدث؟ والجواب يا بني، إني أخاف أن أترك الدنيا دون أن أترجم تلك المشاعر التي تعتمرُ في قلبي اتجاهك، تلك المشاعر التي كانت تجتاحني في كل حركة وسكنة في حياتك.

وبعد محاكمتك تلك، حكموا عليك باثنتي عشرة سنة. اثنتا عشرة سنة يا صغيري مر منها سبع سنوات وأنت ممنوع من الزيارة. اثنتا عشرة سنة يا صغيري ستكون بعيداً عن أحضاني وعيني. اثنتا عشرة سنة يا صغيري لن تنام على سريرك، ولن تأكل من الطعام الذي أعده لك. اثنتا عشرة سنة يا صغيري والبيت سيخلو من ضحكاتك. اثنتا عشرة سنة يا صغيري وأنا لن أطلب من هذه الدنيا إلا ورق رسائلك، وأمل ملقاك.

ولكن ذاك الملقى بات بعيداً. وذاك الأمل تقطعت أوصاله، عندما علمت بأمر إصابتي بالمرض الخبيث قبل سنة. وها أنا أعيش على سرير المشفى بانتظار قدوم أمر الله، ليأخذ روحا منهكة عانت الكثير في هذه الحياة.

بني

أشعر بالنهاية وشيكة، ويبدو أن هذه الدقائق العشر، ستكون الأخيرة التي سأكتب فيها. لم أخبرك قبلاً أن السرطان قد بدأ بالانتشار في أنحاء جسدي، فلم أكن أريد أن أزيد على همومك هماً جديداً. وأريدك

أن تعلم يا بني بأني لم أستسلم للمرض، بل قاومته لأجلك، ولكن، يبدو أني قد وصلت إلى طريق مسدود، وأن العزيز القدّار قد أمر بأخذ روحي قبل ملقاك وأنت خارج من الأسر وهامتك تصل إلى السماء. كنت آمل أن أحضر عرسك، وأن ألقى أبناءك لأحكي لهم قصصاً عن والدهم وعن جدهم، وكنت آمل أن أقبل جبينك الذي ما زال يحمل أثر إصابتك من أول مظاهرة شاركت فيها، كنت أريد تقبيله يا بني لتخبرك قبلتي بالغ فخري بك في حياتي ومماتي، ولتخبرك بالغ رضائي عنك يا ولدي الحبيب.

صغيري

نعم، أعلم أنك قد قاربت السابعة والعشرين من العمر، ولكنك ستبقى دوماً صغيري. لا ندرك في هذه الحياة مبتغياتنا ولا كل ما نشتهي، فلا تحزن، ولا تجعل من موتي سبباً لاستسلامك. فما استسلم أبوك يوماً، وما استسلمت أنا يوماً، وأنت ستحمل الراية وستسلمها لأبنائك. فمع أنك تحت سوط المحتل، فعقلك وقلبك وعزيمتك وكرامتك لن يكونوا أبداً تحت رحمته. ولا تنسى أن الله معك يا بني وأنه لن ينسى عبده أبداً.

بطلي

سأترك هذه الدنيا قريباً، نعم أشعر بذلك، وستغدو يتيم الأم أيضاً، ولكنك لن تصبح يتيم الأرض أبداً ما دامت فلسطين تجري في عروقك. فاعلم يا صغيري بأني وإن مت، ستكون دعواتي معك لتحميك، وسيكون حبي معك ليرعاك ويرشدك. واعلم أيضاً بأني سأقضي نحبي بذكراك. ولتعلم كذلك بأني لن أ شعر بغصة، لأنك لن تحفر قبري أو تذر التراب عليه، فأنا أدرك يا ولدي مقدار حبك لي، وهذا كان جل ما أبغي من هذه الدنيا.

لقاء .. ليس بمكانه

آلاء شريف قاسم*

ما أن جلسَ على حافة السرير الحديديّ، حتى انتفض واقفاً كما كانْ. لقد لسعهُ البرد الكامنَ بالمكانَ كتلك البسماتِ الباردةِ حولَه، التي لم يدرك هل هي دعوةٌ للصبر، أم لَلبكاء؟

وإذا بيدٍ من خلفه تحط على كتفه المرتعش، وصوتٌ يصل إليه مرجوجاً، حزيناً: "لا تخفْ .. بضع أيام وتخرج من هنا .." . لم يدر في هذه اللحظة من الذي يريدُ تشجيع الآخَر .. ذاك الذي نخر البردَ جسده .. وآثار الجروح شوَّهَت وجهه .. فبات لا يُعرف، أم هو "ذو العشرين ربيعاً" الذي لم تهبه الحياة إلا أماً أرملة ضعيفةً .. وأخاً مفقوداً.

شرع يواسي نفسه، ويجد في حديث مكلِّمه بلسماً يعينه على الخوف القابع في نفسه، كحقنة مهدئة لجسده المضرَّج بالدماء .. والتعب. "من أين جاؤوا بك؟" جاءه الصوت من إحدى الزوايا القابعة في مكان لا يتسع حتى له ... لم يجب، فالسؤال لا يحتمل الإجابة.

---

* العمر: ١٩ عاماً. الجامعة: بيرزيت – كلية التجارة والاقتصاد. الهوايات: كتابة الخواطر والنثر، القراءة، والسفر والتواصل مع الآخرين.

"لقد جاؤوا بي من وطني ... إلى زنزانة في وطني المسلوب.."، حتى السجون سلبوا لها مكاناً، لكي تشعر بالغربة وأنت في بلدك. ولكي يتأصل فيك ألمٌ مضاعف، "السجن وغربة في وطن.."

صرير البوابة الصدئة يملأ المكان، ومن خلفها وقف الجلاد مزهوّاً، ينادي بملء فيه اسم أحد الأسرى، فيسحبونه، يأخذونه، ولا يعود. ... سرت قشعريرة في جسده، بدأ يتخيل أنه سيسمع اسمه في أي لحظة ... فُتح الباب ثانيةً .. ونودي اسم. لا لم يكن اسمه.، بل اسمٌ يعرف صاحبَهُ جيداً.، "إنه اسم أخيه". التفتَ غير مصدق لما سمعته أذنيه، فإذا بصاحب اليد التي ربتت على كتفه يوم دخل الزّنزانة ... تلوح له الآن مودعةً ... يناديه صاحبها:

"ثائر .. لا تخبر أمي".

١٥ تشرين أول ٢٠١٠

نزيل ١٠١

بلال سلامة*

الثالثة صباحاً، وبلهفة تتوسّع في نُعاسك شيئاً فشيئاً، كلما التهم السائق المكافح مسافة أخرى من الطريق بسرعته الجنونية، لا لتعاطفه مع لهفتك المتزايدة، وإنما ليستفيد من بضع دقائق يراكمها ليفوز آخر النهار بمسافر إضافي. هو المتحدث في تاريخ البلاد وأحوالها، لا يعنيه الأمر تماماً بقدر ما يعنيه إعالة أسرته المكونة من سبعة أفراد والكثير من الصعاب. هو الثائر الراضي حين يكتفي بترديد "الله بعين" بعد استرساله الطويل في الحديث عن مؤسسات البلد. وهو الغاضب المجهول في عقده الرابع من العمر كما يبدو عليه حين يردد "لا حول ولا قوة إلا بالله"، بعد حديثه عن وظيفة في انتظارها منذ عشر سنوات، لا لأنها توفر له حياة كريمة، بل لأنه يحلم كغيره براتب التقاعد حين يصبح كهلاً لا يقوى على العمل.

ها قد وصلنا إلى الحدود السورية الأردنية، وضابط المخابرات الأردني يستقبلك بتأهب مُختَلَقْ، بنظرات الاتهام الروتينية شديدة الصوت الصامت، وبرغبة عارمة في اكتشاف أدق تفاصيل سفرك. يطرح عليك

---

* ولد في مدينة الخليل العام ١٩٨٦، ودرس في جامعة البولتكنيك التصميم الجرافيكي. يكتب بلال الشعر وينشر في العديد من المواقع الإلكترونية، وله ديوان شعر سيصدر قريباً عن وزارة الثقافة الفلسطينية.

سيلاً من الأسئلة السريعة، الشخصي منها والعموميّ، تجيبه والنوم يفرك جفونك وبرغبة الخلاص السريع من فضول الأمن وحدس الأمان الحدودي، اسمك..؟ عمرك؟ عملك..؟ كم بقيت في تلك البلد..؟ تغريك سذاجة الأسئلة الروتينية المُجابة مسبقاً آلاف المرات. كان يكفي أن يتفقد جواز سفرك ليعرف أنك لم تزر سوى البلاد التي زُرتها، وكان يكفي أن يتفحص الصفحة الأولى كي يحصل على الإجابات الكاملة بدقة الخط ووضوح المعلومات الشخصية. وفي نهاية الأمر، يستولي على جواز سفرك ويسلمك بالمقابل ورقة حملت تفاصيل بلاغ لمقابلة المخابرات الأردنية، إلا أن نظرك لا يلتقط منها إلا (القاعة ٢٠). ذاك المكان الذي رحتَ بتلقائية اكتشاف المجهول، ترسم له أبعاداً في خيالك. فتحملك حالاتك الشعورية البسيطة، من خيال مُتشائم إلى آخر مُتفائل، إلى أن تستقر أخيراً في حضرة خيال حياديٍّ آخر، فَتُشاكِسُ روحك بخفة مُنعِشَة حين تقول لنفسك: "أيها الحِيَادِيّ الماكر!".

أتذكر يوم سألك ضابط المخابرات على الحدود السورية قبل شهر من الآن، "ماذا ستفعل في سوريا"؟!

يومها ابتسم اللاوعي في وعيك، كان بودك لو تخبره: "هي رحلة للهباء والعبثية البيضاء، هي نزهة قصيرة للموت وربما للحياة الخفيفة في سحر الفراغ، وهي اكتشاف الضروري في عزلة الوقت وانفصال المكان عن تاريخ اختناق طويل".

ولكنك وجدت نفسك مضطراً لاختراع إجابة لائقة، تكفي لإشباع حس ضابط الأمن ليقتنع تماماً أنك لست متورطاً بمؤامرة ما، من ذاك النوع الذي يهدد سلامة الكون وسلام المنطقة. أنت كذلك فعلاً، وعلى الرغم من ذلك، ما زال عليك اختراع إجابات دقيقة، حذرة وواضحة، كي تنجو من إضاعة ساعات إضافية من حلمك الواقعي، قد يهدرها الضابط الحدودي، لسبب ما لا دَخلَ لَكَ به. كأن يكون مشوشاً مثلاً، أو ممتلئاً بالغضب لخيانة زوجية، أو لربما لمشكلة عاطفية، أو حتى ناقماً من راتب لا يكفي لسداد حاجيات معيشته. فيصب غضبه المتراكم عليك، فتقول في نفسك "لو تمكنتُ لنصحتُ المسافرين باختيار أول الشهر وقتا جيداً للسفر".

أنت الأوفر حظاً، تحصل على مقابلة سريعة بعد يومين دون تأجيل طويل، لأنك "حَبَّاب" كما يصفك ضابط المخابرات بابتسامة الساعة الرابعة والنصف صباحاً. ابتسامة تؤكد أنك شخص مسالم خفيف الظل لا تثير المشاكل، ولكن ما ذلك إلا فضول لمعرفة أسماء أقاربك البعيدين قبل القريبين منك، حتى لو لم تكن تعرف أسماءهم أو أسماء زوجاتهم وأولادهم، وفضول لمعرفة الحزب الذي تنتمي إليه حتى وإن كنت لا تنتمي!

نزيلاً في الغرفة ١٠١ في الفندق المفضل لديك، لا هو راق جداً كي لا تصاب بداء البرجوازية العمياء، ولا هو متواضع جداً، كي لا يجذبك الفقر إلى سلبية الحسد والنقم المتنامي على اتساع الطبقات.

ثم تسأل نفسك "هل أنا وحدي"؟! لماذا كل هذا المجهول والمعلوم من خيباتنا اليومية؟ لماذا كل هذا الألم الذي يسيل من أصوات الناس بكل هذا الرضا المَرحَليِّ المُصطنع!؟

يجيبك الفراغ سراً، فتبتسم بحسرة جماعية تسحب منك مَدَاكَ العُمُوميّ وترميك حياً بكامل أناقة الليل أمام همومك الخاصة.

نزيل ١٠١ في انتظار مقابلة القاعة ٢٠، لا تفكر سوى بطعم هواء الخليل، وتقبيل يد أمك!

٢٨ تشرين أول ٢٠٠٩

الطريق إلى المحطة

قسم عبد الفتاح حمايل*

٢٠٠١/٧/١٥

مدينة القدس، حافلة عسكرية إسرائيلية تركن في الصف الأول من قطيع السيارات، تنتظر توهج الضوء الأخضر لإشارة المرور. ازدحام معتاد وقت الظهيرة، إنها العودة من تدريب جيش الاحتياط. جنود في الحافلة يتكدسون كأكياس معونة قبل توزيعها بلحظات، ملابسهم القطبية تقطر عرقاً وكراهية وتعاليم من الزابور والتوراة. سائق الحافلة العجوز يهش بيده ذبابة تطن باستمرار. وحده يجلس في المقعد ما قبل الأخير بعتاده العسكري الزائف متقن الصنع، رأسه حليق كعشب نتأ حديثاً، نظارته الشمسية السوداء تحجب عن الجند الآخرين ما يطلقه من نَظرات، مظهره أشبه بهيئة مستوطن روسي مهاجر من موسكو.

قبالته جندي يرتدي قبعة دينية، ويهز رأسهُ كالحرذون منهمكاً بقراءة العهد القديم. وفي المقعد أمامه جندي آخر يهوي برأسه على حضن مجندة تجلس بجواره ويغط في النوم. كان الوقت يمر بطيئاً كالموت،

---

* من مواليد مدينة القدس في العام ١٩٨٨، مقيم في قرية كفر مالك شرقي مدينة رام الله. تخرج من جامعة بيرزيت تخصص إعلام/ إذاعة وتلفزيون العام ٢٠١٠، نشر نصوصاً مختلفة في مجلة **فلسطين الشباب**، منها (الصوت الذي أعرفه جيداً)، (اعترافات)، (أشياء كانت ولم تكن)، يكتب القصة القصيرة والخاطرة والمقال.

وها هو يستذكر شجاعته بابتسامة وقت تسلله إلى الحافلة، "تنكر مثالي، والخطة تجري على ما يرام، فما أن تَصلَ الحافلة محطتها الأخيرة حتى ينفجر المكان بمن فيه".

ضوء الإشارة يومئ بالأخضر، محرك الحافلة يَتحشرج إزعاجاً وغازاً بفعل الوقود، ومن سَهى من الجند يستفيق بسبب تلكؤ الحافلة، البعض يفرك عينيه والبعض الآخر يتنهد ويشحذ بندقيته. عشر دقائق تفصلهم عن المحطة ومفترق. عشر دقائق كفيلة بقلب الدنيا رأساً على عقب. ثمينة هي الدقائق العشر للمتنكر الشاب في المقعد ما قبل الأخير. ها هو يستذكر كيف اصطادت رصاصة إسرائيلية عابثة قلب أخيه، وكيف تَنظم في خلية عسكرية انتقاماً له، وانتقاماً من حظه العاثر في الحياة. خمسة آلاف دينار تفك ضائقة العائلة. خمسة آلاف دينار مقابل أشلاء جسده المتفجر بحزام (الديناميت) الملتف على وسطه. صعود إلى السماء، جنة وحور عين وكل ما يشتهي ويشاء، هذه الدنيا مجون ودار فناء، مشاهد عدة ترتسم في مخيلته. صوت سائق الحافلة يضج بمكبر الصوت: "عليكم الاستعداد لمغادرة الحافلة، دقيقة ونصل المحطة".

قرب المحطة، ثلة من المسافرين متسمرون يستعدون لمغادرة المدينة، وأشجار سرو يابسة صغيرة، كراسي مصنوعة من الحديد، فارغة إلا من لهيب أشعة الشمس. ضجيجُ أصوات المارة ونباح أبواق المركبات، رجل أمن يقف على الرصيف المقابل كأنه عود قصف يابس.

تتنهد الحافلة معلنة وصولها المحطة. السائق يفتح الباب الأمامي، الجنود ينهضون بجعبهم العسكرية، وبحقائبهم الملونة المليئة بالملابس الداخلية والأوقية الذكرية، يضجون بالباب ويتبادلون الشتائم، فالكل يريد النزول أولاً. وها هي اللحظة الملائمة لإتمام العملية يقول المنسي في الحافلة، يده تعبث بالحزام، يقترب من زر التفجير، يتحسس استدارته مرات عدة، ترتجف يده، يتمالك نفسه، يستعيد شجاعته، ليسود الصمت برهة تطول، تتلوها زقزقة العصافير على الأشجار وقت المغيب.

٢٠٥٠/٦/٧

زقزقة العصافير وقت المغيب، العجوز يجلس على عتبة البيت، يلوك سيجارته الواهنة، ويتحسس لحيته الشعثاء، يسرد ما تبقى من حكايته على فتية الحي المتحلقين حوله: "هكذا يا أبنائي قفزت من الحافلة راكضاً، مخلفاً على المقعد حزام المتفجرات والموت لأحتضن الحياة". ينهض العجوز محاولاً تعديل جلسته، يقف بتثاقل واضح، تباغته وخزة في القلب تسري إلى بقية الجسد كالكهرباء، تتسع عيناه، يشهق مرتين مصدراً صوتاً كثغاء ماعز، يتكئ على الحائط ويهوي بطيئاً على أرضية العتبة.

حتى إشعار آخر

جميل إبراهيم*

أهدي هذه النصوص إلى أمي .. عاصمتي .. وخارطة الوطن .. إلى أبي .. وإلى ذكرى جدي .. لروحه الراقدة في المكان .. مني سلام.

الجزء الأول

نهايات كانون الأول ١٩٨٧

نابلس – الضفة الغربية

كل ما أذكره أنه كان يوماً هادئاً في الصباح، باستثناء صراع الديكة اليومي، بيني وبين أخي، الذي يصغرني بعامين، والذي كان يسرق الأضواء مني لأنه آخر العنقود ولشقرة في شعره وزرقة في عينيه، الأمر الذي كان يغيظني.

---

* مواليد أيار ١٩٧٨ في نابلس–فلسطين، أتممت دراستي الثانوية في مدرسة قدري طوقان الثانوية–نابلس. التحقت بجامعة بيرزيت وحصلت على الشهادة الجامعية الأولى في الإعلام والعلوم السياسية، وماجستير دراسات السلم والصراعات من جامعة ماربوغ في ألمانيا. بدأت أول محاولات الكتابة العام ١٩٩٥، وبإتمامي دراسة الإعلام والكتابة الصحافية كانت البداية الحقيقية لتتطور كتاباتي إلى شكلها الحالي.

ليس لي من الأحلام في ذلك الوقت، أكثر من إزاحته عن عرش دلاله والحفاظ على مركزي الأول في صفوفي المدرسية، وعودة أبي المغترب من الكويت في إجازته السنوية.

لم أكن أعرف عن فلسطين أكثر مما يرويه جدي عن بطولاته وتمرده على الجيش البريطاني، التي، على الرغم من صغر سني، فإنني كنت أشكك أحياناً في مصداقيتها. وكأن جدي كأمثاله ممن عايشوا الهزيمة، يواسي نفسه بانتصارات يؤمن بها حتى لو كانت من نسج خياله.

ولم أعرف عن الثورة أكثر من أغانيها التي تتغنى بصمود بيروت وصبرا وشاتيلا، والتي كنا نسمعها سراً من إذاعة الثورة أو المسجلة على شرائط صوتية، حيث كان جدي يدفنها في التراب بعد سماعها. فالاستماع لتلك الإذاعة أو للأغاني الوطنية، كان كفيلاً بأن يسجنك ستة أشهر على الأقل.

كأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة، تواتر في الأنباء عن اتساع المظاهرات في المدن الفلسطينية بعد سقوط أربعة من العمال في غزة دهساً بشاحنة عسكرية.

في حيّنا، أمر ما يحدث على الأطراف، جلبة وفتية يتراكضون في الشوارع، يتبادلون الحديث فيما بينهم عن شبان ملثمين يغلقون الطرقات بالمتاريس ويشعلون إطارات السيارات بانتظار الجيش وسيارات المستوطنين.

خرجتُ لمشاهدة ما يحدث. آلاف من التساؤلات تحاصر عقلي الصغير أكبر من أن يدركها وعيي، ومن أن يقاومه فضولي. في ذلك الوقت وصل الجنود بدروعهم وخوذاتهم البيضاء، وانطلقت حناجر الشبان بهتاف اختلط بصفير الفتية، كأوركسترا يعزفون النشيد الأول (بالروح بالدم .. نفديك يا فلسطين).

خوذات الجنود تلمع من خلف دخان الإطارات ... كوفيات الملثمين تغطيها من حين إلى آخر كتل الدخان ... دقات قلبي ومستوى الأدرنالين

يتسارعان بتسارع المشهد ... . هتاف .. صفير .. طفل يدفع إطار سيارة .. شاب يختبر جاهزية مقلاعه .. آخر يكسر قطع من الطوب .. وأحدهم كان أكثرهم جرأة .. يُحكم بناء المتاريس .. جندي هناك يُعد سلاحه ... ويختبئ خلف العربة المصفحة ... وابل من الحجارة يقرع الفولاذ المصفح ... وتسقط قنبلة الغاز الأولى على مقربة مني. كانت رائحة الإطارات المشتعلة والغاز مزيجاً كافياً ليفقدني توازني.

بدا لي وجه أمي وأخي الأكبر في الزحام كاليد الإلهية التي امتدت لتخرجني من هناك، ولم أجد نفسي إلا في ساحة بيتنا، أستنشق منديلاً مبللاً بالكولونيا، وبالكادِ أسمع صوت الهتاف وقنابل الغاز على أطراف الحي.

تراجع الفتية المفاجئ، وتحذيراتهم لأهل الحي (إجوا الجيش .. إجوا الجيش)، أعاد لي توازني المفقود ... أصبح الشارع خلال دقائق كطريق في مدينة أشباح. حافلة عسكرية وعربات مصفحة، خرقت الواحدة تلو الأخرى صمت الطرقات ...

(بأمغن من الخاكم العسكغي، يفغد عليكم نزام منع التجول، من الآن وحتى إشعاغن آخغ).**

يتردد صدى العبارة عبر مكبرات الصوت في أرجاء الحي، بينما كانت أمي تغلق باب البيت، أما أنا فقد تسمرت على النافذة أوزع نظراتي بين مقبض الباب المغلق وتأمل الشارع الخالي، إذ كان إعلان حظر التجوال الخيط الأول للإجابة عن تساؤلاتي .. أدركت وقتها أن هناك حاكماً عسكرياً يمتلك الكثير من قنابل الغاز، والكافية لخنقي ... والذي باستطاعته تحقيق ما تعجز عنه أمي من محاولات لحصر مجال لهوي ولعبي في ساحات البيت، بل وأكثر وحتى إشعار آخر.

يتبع ....

** بأمر من الحاكم العسكري يفرض عليكم نظام منع التجول من الآن وحتى إشعار آخر.

الضفة الغربية– أواسط ١٩٨٨

لم تشفع لي، محاولات والدتي، لإقناع الضابط المسؤول عن الدورية التي اقتحمت بيتنا بأني صغير السن، وبأني في حالة إعياء بسبب التهاب الحلق. ولم يقنعه بياض لساني الذي فتحت فمي ليراه. للحظة، انتابتني فوبيا الحقن. فما عادت مخيلتي تفرق بين لباس الضابط الزيتي ورداء الطبيب الأبيض، ولا بين حقنة البنسلين المضادة لالتهاب اللوز التي لطالما اخترقت جلد مؤخرتي وأفقدتني الحركة الطبيعة لأيام وما بين بندقية آلية مصوبة نحوي قد يخترق رصاصها صدري إن توتر إصبع الجندي قليلاً، ولا بين رائحة فرامل الجيب العسكري، ورائحة المُعَقِم في العيادة.

(أسكتْ) .. هكذا أنهى الضابط توسلات أمي. وفشلت آخر محاولاتي بالتشبث بثوبها حين شدني جندي من يدي ... (يلا امشي)، ليقتادني بعد ذلك وأخوتي إلى خارج البيت.

كان الشارع مغلقاً بمتاريس من البراميل والحجارة. وكان علينا إزالة تلك المتاريس، ومسح الشعارات المكتوبة على الجدران، وإنزال الأعلام الفلسطينية عن أعمدة الكهرباء.

كنت أحاول عبثاً تحريك حجر ربما كان بوزني، وجندي طويل القامة بدا وهو يقف خلفي وبيده هراوة خشبية وبظله الممتد تحت أشعة الشمس أمامي، كمارد من حكايات سندباد خرج لي من بين المتاريس.

خوفي وأشعة الشمس ودوران رأسي وظل الجندي الممتد على الأرض وصراخه، وتألم أخي من الجندي الذي داس أصبعه بمقدمة حذائه المعدنية بعد أن كان قد سقط حجر على الأصبع نفسه. المشهد الذي حدث أمامي أدخلني في حالة من البكاء الشديد واللامبالاة للجندي الواقف خلفي ينهرني. ولم يخرجني من تلك الحالة، سوى صوت الضابط الجالس في الجيب العسكري: (يلا روخ عَ البيت).

ركضت إلى البيت ولم ألتفت خلفي. كان خوفي وإعيائي أكبر من أن أستشعر الجبن، أو خذلاني لأخي، وتركه وآلامه لبسطار الجندي.

ارتميت بحضن أمي لأنفجر بالبكاء ثانية، ربما لشعور بالذنب انتابني.

(جولاني هون ... بلجان فش هون)*** ... استرقت النظر من النافذة لأرى ما يدور في الشارع.

رأيتهم شباناً وفتية ورجالاً بعمر أبي، يحملون فوق رؤوسهم سلالم خشبية مرددين ذاك الهتاف من بعد الجنود الذين كانوا يحيطون بهم ويقتادونهم إلى ساحة المدرسة. لمحتُ بين الجموع رجلاً كبيرَ السنِّ شعره أبيض وبيده دلو فارغ. أدركت أن أحد الجنود قد أفرغ على رأسه دلو الشيد، وأدركت أيضاً، حين عاود ترديد الهتاف، أن ذلك الرجل ما هو إلا جارنا سليط اللسان.

تلك الحادثة جعلت جارنا أبو إبراهيم يحسم موقفه من فعاليات الانتفاضة لاحقاً، لنصحو صبيحة يوم العيد على صوته وهو يحاول جاهدا إنزال علم معلق على عمود كهربائي أمام بيته طواعية.

"ولك انزل ... يلعن أبو اللي حطك هون أخو ... يروح يحطك باب دارهم".

لكم أن تتخيلوا رجلاً مستديراً وقصيرَ القامةِ على سلم خشبي وبيده عصا طويلة يضرب بها علماً معلقا على العمود ويخاطبه ويشتمه ويشتم من علقه. تجمهر حوله فتيةٌ صغار يتهامسون ويتبادلون الابتسامات الصفراوية، لربما كان من علق العلم بينهم يتلذذ بمشهد جارنا وهو يحاول عبثاً استباق حمام آخر من الشيد.

محاولاته لإنزال العلم .. فوتت عليه صلاة العيد، .. بل وتصدره الصف الأول للمصلين والآذان، إذ وعلى الرغم سلاطة لسانه ونارية مراسه ومزاجه، فإنه مؤذن وقارئ للقرآن في الجامع القريب.

*** جولاني هون ... بلجان فش هون: "جولاني" وحدة في الجيش الإسرائيلي، و"بلجان" كلمة عبرية تعني مشاكل.

وعلى الرغم من حظر التجول المفروض، وما إن ابتعد صوت الهتاف، حتى خرج من تبقى في البيوت إلى الشرفات ليطمئن كل على جاره، وليستفسروا عن الذين اقتادهم الجنود، ولكي يتبادلوا التمنيات بعودة من اقتيدوا سالمين.

عاد أخوتي في المساء بعد أن أفرج عنهم الجنود وبقية رجال الحي وشبانه. لم يتناولوا الطعام الذي أعدته أمي لهم قبل عودتهم بساعات، على الرغم من أنها نجحت بإقناعي وأخي الأصغر بالصبر وتحمل الجوع حتى نأكل سوية حين يعودون.

كان جوعي والصمت المُخيم في البيت هما سيدا الموقف .. إلى أن كسرت أمي ذلك الصمت بصوتها المختلط بدموعها الأشد صمتاً ... "روح كل أنت وأخوك"... .

لا أعرف ما الذي أفقدني شهيتي للأكل أنا أيضاً ... رغم جوعي المتقد ... ربما لأنها كانت المرة الأولى التي أرى فيها أمي تبكي بهذا الصمت.

ذهبتُ إلى غرفتي .. وبدلت كتبي المدرسية لليوم التالي، كما اعتدت كل يوم، على الرغم من أن المدارس أصلاً مغلقة بأمر عسكري للشهر الثاني على التوالي. ولا أعرف ما الذي دفعني إلى أن أرسم علم فلسطين على مسطرتي الخشبية، على الرغم من إدراكي أن ذلك بحد ذاته تهمة كافية، لي أو لولي أمري، لقضاء ثلاثة أشهر في السجن حسب القوانين العسكرية. ربما كان التحدي الأول بيني وبين نفسي، أو تكريماً لعلم داسه الجنود اليوم أمامي، ... ولربما كان محاولة للتغلب على فوبيا جديدة إضافة لفوبيا الحقن والكلاب والعتمة ... فوبيا الجنود.

في صبيحة اليوم التالي، رفع حظر التجول ساعتين للتزود بالغذاء بعد خمسة أيام متواصلة من الحظر والتفتيش من بيت لبيت. بينما كانت أمي تشتري مؤونة ومستلزمات البيت من التاجر القريب من منزلنا، كنت أنا وأخي الأصغر نتزود بمؤونتنا من البسكويت، وراس العبد، والملبس، وبذور عباد الشمس ما يكفينا للأيام القادمة.

فصل من ذاكرة

رجاء رنتيسي*

ركض الجميعُ باتجاه غرف الصف وتهاووا على المقاعد منهكين. كنتُ يومها قد خرقت القوانين التي وضعها أبي لي منذ وعيت على الدنيا. حذرني أبي، أن أية محاولة مني بالانخراط في أي نشاط يعدُ خطراً سيقضي عليه، فهو لن يحتمل نتائج عمل طائش كهذا. كما أن أمي كثيراً ما كررت قول أبي مضيفة إليه الكثير من الدموع والتذكير بأنني أملها الوحيد في هذه الحياة، وأن أي ضرر يلحق بي يعني انهياراً كاملاً لحلمها الذي بنته اعتماداً علي. لكم أرهقني ذلك الحلم وكم تمنيت لو كنت كما معظم الأولاد لست خاصاً أو مميزاً أو وحيداً بذكوريتي التي جلبت لي كل ذلك الشقاء.

قررت في ذلك اليوم أن أكون عادياً، وأن أتبعهم وأشاركهم فعلهم الطائش، كما كان يراه أبي، والبطولي كما رآه رفاقي. لم أكن أبداً لأسمح لنفسي أن أكون عادياً متخاذلاً. وفي لحظة نسيت فيها عيني أمي المتوسلتين ووجه أبي المتجهم، رفعت يدي الممتلئة بالحجارة وعند اقترابها العنكبوتي، أطلقت

---

* تعمل مُدرسة في دائرة اللغات والترجمة في جامعة بيرزيت. مشاركه في العمود الأسبوعي لجريدة الأيام "أقلام حرة"، كما أن لديها قصة أطفال من منشورات أوغاريت والعديد من المنشورات الأخرى. ناشطة نسوية ومجتمعية ومشاركه في عدد من المجالس الإدارية لمؤسسات محلية. متزوجة وأم لثلاثة أبناء.

حجارتي صوب زجاجها الأمامي. ويبدو أن يدي الرقيقة، تمكنت من إصابة ما بداخل هذا العنكبوت الاحتلالي القميء، إذ وفجأة دوّت مزامير الخطر، وانطلق صوت صافرات تنذر بغضب قادم سيطال بالتأكيد عنق أحد ما. كنتُ في تلك اللحظة أركض بكل ما أوتيت من قوه باتجاه المدرسة، آملاً أن لا يكون عنقي هو الهدف. تهاويت على مقعدي في غرفة الصف، وحاولت مسح يدي الممتلئة بأثر الحجارة. كان القلق بادياً على وجهي وقلبي الذي كان يخفق بقوة، حتى إنني كدت أظن أنه سيخرج من بين ضلوعي معلنا خوفه الشديد من اللحظة القادمة. تلك اللحظة التي جاءت وبسرعة، وكتوقعاتي استحقت وبحق لقب لحظة التحول المدمر.

وقف ضابط الفرقة تحيط به مجموعة مذعورة من الجنود في باب غرفة الصف. لم أستطع أن أرفع عيني باتجاه أيٍّ منهم، فقد كان وجه أبي في تلك اللحظة يلاحقني متهماً معاتباً ومتجهماً. كان وجه أبي يُرعبني أكثر من وجوه هؤلاء الجنود. ووجه أمي كان يطل أحياناً من خلف أبي باكياً، ومشتكية لله سوء حظها. فجأة ودون إنذار مسبق، قبض أحد الجنود على رقبتي وتحدث مع الضابط بالعبرية، التي لم أكن أفهمها. اتجه نظر الجنود جميعاً إلي، واقترب مني أحدهم وبعربية مكسره أمرني:

افتخ إيدك!

مرتجفة خائفة بدت تلك اليد المتسخة ببقايا الحجارة المتحدية لجبروتهم وأبوية أبي ودموع أمي.

"ما زاي؟؟" (ما هذا؟) ... سأل الضابط.

حاولت تحريك شفتاي وإصدار صوت مجيب، لكن الكلمات ارتدت بسقف حلقي محدثه شعوراً بانفجار صوت خرج بشكل سعال جاف.

أعاد الجندي صراخه الآمر بأن أنهض من مقعدي واتبعه لانضم لسعد وأيهم اللذين كانا قد أُمرا من قبلي بالوقوف إلى الحائط. لم أصدق أن قدميَّ حملتاني باتجاه الحائط، كنت قد أمرتهما مراراً بالوقوف ولكني لم أشعر أنهما تتجاوبان، وكأنني لست أنا، بل كأن هناك شخصاً آخر

انتعل قدماي وسار بهما باتجاه الحائط، شخص آخر غريب عني اندس في ثنايا جسدي منذ تلك اللحظة، لحظة التحول. شخص أصبح هو المتحكم بي، ومبعداً أي أثر لذلك الذي كنت أنا "عامر" ليحول دوني ونفسي من الحياة داخل جسدي. منذ تلك اللحظة، اندثر عامر داخل ضلوعي وتقمصني ذلك الآخر الغريب، البليد، المتعجرف والتائه.

في الدائرة ذاتها:

غرفة صغيرة، لا تزيد مساحتها عن المتر المربع. أعرف الآن لماذا لُوِّنَ الحائطُ بلون أصفر شاحب، ولماذا اختيرت المقاعد التي لا تتسع إلا لطفل لا يتعدى العامين. كانت كآبة تلك الغرفة ممتزجة بخوفي وقسوة المحقق، والمنبثقة من ابتسامته الصفراوية ومن صوت أمي الباكي الذي كان يتردد في أذنيّ. كل ذلك زاد من سطوة ذلك الذي ارتدى جسدي في لحظة التحول وسحبني إلى الأعماق، حيث لم يعد لدي فسحة للخروج. فمنذ اللحظة الأولى لدخولي تلك الغرفة الكئيبة، سلمتُ نفسي لذلك الآخر، وراقبت ما حصل وأنا قابع دون حراك. رأيتهم يجرونه أمامهم كالعجل المذبوح، ويرمونه على الأرض ويجبرونه على خلع ملابسه جميعها، ومن ثم ينقض أحدهم، ذلك الذي لن أنسى ملامحه طوال عمري القصير، ذلك الملمح الشيطاني الذي يعج برائحة حقارة بشرية فريدة من نوعها، والذي اغتصبه ذلك الآخر، وأنا أرقب كيف يعبث ذلك البشري الحقير في الجسد الذي استولى على جسدي دون أن أنبس ببنت شفه. وبعد أن انتهى ذلك الحقير من فعلته، بصق في وجهي المختبئ وراء وجهه البليد قائلاً "ابعث تحياتي لأمك، وقل لها إن هذا جزاء من يعبث بأمننا، وأن ذنبها كان أن أنجبت وسيماً مثلك".

خرجت من المعتقل بعد عدة أيام، ولكن خروجي لم يتعدَ الجسد، أما ما بقي من نفسي، فقد بقي عالقاً في تلك اللحظة. عدت إلى البيت لأواجه همي الأكبر في ملاقاة أبي وأمي. وكما توقعت تماماً استقبلني أبي بوجه متجهم ملئ باللوم وكلمات تضربني كالسياط:

"كثيراً ما حذرتك ولم تسمع. أرأيت، تلك هي النتيجة!!".

من سرق صديقتي من الدبابة؟

كوثر أبو هاني*

غزة

هي ليست مغامرة أو فعلاً خارجاً عن الإرادة بسبب نوبة جنون ما أو حماقة مؤقتة، تعمدنا أن نحتفل بعيد ميلاد صديقتنا "غادة" في دبابة إسرائيلية اصطدمنا بها في أحد شوارع المدينة. كانت غزة بدون دموع، بدون غضب، وبدون أمنيات. كان اسمها غزة وكانت أسماؤنا، كوثر، وغادة، ورنا، وبهاء. وضبطنا منبه ساعاتنا على الرقم "٥" صباحاً، أنا وغادة من غزة، ورنا من دير البلح، وبهاء من رفح. عند الساعة الخامسة صباحا رنتّ منبهاتنا وصدح الرنين في سماء قطاع غزة مثل أجراس كنائس تعلن عن مولد قدّيس أو بعث المسيح ... كنت وغادة ننتظر رنا وبهاء في الطابق الأخير في أعلى برج في غزة. وعند الساعة السابعة اكتمل عددنا في برج الأندلس. بهاء جلب معه ألعابا نارية، كان قد اشتراها من الحدود المصرية القريبة من بيته. أما رنا فقد أخرجت من جيبها كومة بلالين ملونة وشرعت بنفخها. وأنا صنعت الكعكة وقلت لهم أن طعمها سيكون شهياً حين نُقطّعها ونأكلها في الدبابة، غادة فارغة الأشياء منتشية بأغراض الأصدقاء تضحك بين الفينة والأخرى على فكرتنا فوق الخيالية!

---

* في صباح التاسع من شهر تشرين الثاني العام ١٩٨٩، هرعت سيارة إسعاف إلى بيتنا الصغير، ونقلت أمي إلى إحدى مستشفيات مدينة غزة، هنالك في غرفة ما .. كان ميلادي. وبذلك ارتفع عدد اللاجئين الفلسطينيين بمجيئي إلى العالم!

قضينا نهارنا في برج الأندلس نخطط في كيفية الاستيلاء على دبابة. أخذنا قسطاً من القيلولة، غنينا، تدربنا على رقصة تناسب أجسادنا حين تنحني في الدبابة لأن سقفها سيكون منخفضاً. ثرثرنا وامتدت ألسنتنا إلى الغيبة والنميمة ... وأخذنا المجد إلى الجرائد والصحافيين الذين سوف يتهافتون علينا لإجراء مقابلات صحافية عن "حفلة ميلاد فلسطينية في دبابة إسرائيلية".

الآن أنا أكبر وأحمل في وجودي بهجة وأسطورة ما .. ثمة خرافة تترعرع في وجودي، بدونها لا أكون، بدأت أحبها وأحاول سردها منذ تسع سنوات، إنها الكتابة، الفعل اليومي الذي أمارسه خشية الغرق والاختناق، بدون طقوس أو احتفالات، هكذا مثل عادة غسل الوجه بعد النوم، ومثل زيارة بيت لا يحب الضيوف.

في البداية، كانت الكتابة عندي مجرد لعبة أتسلى بها، أنا المزدحمة بالفراغ، ثم تطوّرت اللعبة إلى قصائد وقصص يقرؤها أبي وأخوتي وصديقاتي، لا أعلم متى تلبستني الكتابة كحلم رائع، لكنني أذكر أن اهتمام أهلي والكتاب الذين قرأوا ما أكتبه، كان له أثر جميل علي، أغراني أن أقيم علاقة ماكرة مع الكتابة ... زيّن لي الكاتب الراحل عايد عمرو طريق الكتابة حين كنت في السابعة عشرة من عمري، كنتُ وقتها أدرس الثانوية العامة وأخطط لأن أكمل رسم دائرة أسرتي العلمية بالحصول على معدل مرتفع كي أتخصص فيما بعد في الجامعة، تخصصاً علمياً، ولولا عايد لما كنتُ الآن أدرس الأدب العربي في الجامعة! كان لعايد عمرو الأثر الكبير في خرافتي المستمرة، زرع فيّ نبتة الكلمات والخيال، ومن خلاله تعرفت على كتاب طيبين صاروا فيما بعد أصدقائي، مثل القاص زياد خدَّاش، والروائي إبراهيم نصر الله، والراحل محمد طملية، وآخرين ... الآن، هي تكتب كي تتخلص من كراكيب العالم وعتمته .. .

انتظار الليل طال. غادة ضجرت، "يا صديقتي بقي لليل ساعة ونحتفي بميلادكِ". انتخبنا بهاء لينزل ويشتري لنا قنينة كوكاكولا ... بعد

نصف ساعة عاد إلينا بهاء لاهثاً، خفتُ، اعتقدتُ أن الاجتياح قد بدأ، فإذا به يطمئنني ويسخر: "المصعد الكهربائي لا يعمل .. .ها. إنتي وجهك وجه ناس بدخلوا دبابة".

شربنا الكوكاكولا الباردة، واستلقينا على ظهورنا، وكل واحد منا ذهب بذهنه إلى أحلامه الكبيرة في الدبابة الصغيرة. كانت عيوننا مثبتة على الساعة المعلقة فوق باب الغرفة مثل مشنقة. نبضات قلوبنا تدق مع حركة عقارب الساعة. بعد ساعة سيصبح عمر غادة "عشرين" سنة. لو كنتُ أنا غادة، لسبقتهم إلى العقد الثاني من العمر. كانت أعمارنا جميعاً "تسع عشرة" سنة، غادة الآن عمرها مثلنا "تسع عشرة سنة"، لكن الشهور المتفاوتة بين يوم ولادتنا، ميّزتنا عن بعضنا، وجعلت لكل واحد منا يومه الخاص الذي يحتفل فيه بعيد ميلاده. ربما الآن تشعر غادة بالفخر لأنها بعد ساعة واحدة ستتحول إلى امرأة في العشرين من أنوثتها الطاغية، وستنظر إلينا بعيون كريستالية تقول "أنا أكْبَرَكم أيها الأصدقاء".

سمعنا أصواتاً غريبة كأنها أصوات الاجتياح. هرولتُ إلى النافذة وتأكدتُ، صحتُ بفرح "هيا بنا..". حملتُ الكعكة وركضنا جميعاً على درج البرج ننزل كأننا ننزلق على لوح جليدي يؤدي إلى حدائق مشمسة دافئة. من يصدق في هذا الوقت من الليل القاتم والاجتياح المرعب أن ثمة مخلوقات مجنونة تقف وراء باب برج عملاق تمارس حقها في الحرية والاحتفال؟ فتح بهاء الباب وخرج زاحفاً إلى الطريق الذي يعج بالجنود والبنادق البرّاقة من شدة لمعان فولاذها. زحفنا خلف بهاء. كان الجنود منشغلين في استعداداتهم الأولية للتوغل في اجتياح المدينة أكثر ... انتشر الجنود تحت البيوت ممسكين بنادقهم، كما لو كانوا بحارين أشرعوا سفنهم للإبحار في محيط لا قرار له، محيط خطير ومليء بأسماك القرش والحيتان..

ربط بهاء البالون الأول في جنزير الدبابة. زحفنا بحذر وحاصرنا الدبابة بالبلالين الملونة، كانت منتفخة وبدت في ذلك الوقت كالأشباح

المريعة. لم يلحظنا أحد، فقد كنا نرتدي ملابس سوداء نتماهى معها بالليل. رأى البلالينَ جنديٌ يضع مشط الرصاص في بندقيته، صاح بصوت مرتجف "متفجرات"، التفت الجنود إليه فوجدوه يشير إلى بلالينا الملونة. دب الخوف والارتباك في الجنود، هم في حيرة من هذا الكمين غير المتوقع. فتح بهاء باب الدبابة، واقتحمها. لم نكن نُرى، حوّلنا الله إلى كائنات غير مرئية، أخرجنا الجندي وصديقته من الدبابة وأغلقنا الباب علينا.. أغلقنا الباب على الظلام وأشعلنا ضوء الدبابة، انفصلنا تماما عن العالم الخارجي وأصبحنا في كوكب آخر..

شهقت غادة وقالت بحزن: "كنت أظن أن الدبابة أجمل من غرفتي لأنها الأقوى".

قلتُ باستغراب: "وهل الأقوى هو الأجمل؟". قفز بهاء بيننا.

وقال: "هيا ننظف الدبابة من القنابل والرصاص ...".

قاطعته رنا قائلة باشمئزاز: "هل يوجد ماء هنا؟"

سألتها: لماذا؟

أشارت بإصبعها إلى دم ممتزج بسائل لزج، وقالت: "لنزيل لوثة جنسهم".

طهّرنا الدبابة من الدنس ورائحة الجنس المختلطة برائحة الرصاص الذي يفترس لحومنا.. ثم بدأنا نحتفل بعيد ميلاد غادتنا الجميلة. أكلنا الكعكة ولم ندع شيئاً تمنيناه إلا وفعلناه، وتركنا الألعاب النارية حتى نهاية الحفلة. في منتصف الليل، قررنا أن نرسم على جدران الدبابة، ورسمنا أشجاراً ومطارات وطائرات وحلوى وملابس ... .

قبل انبلاج الفجر، تناهت إلى مسامعنا أصوات فرقعة بلالينا التي ربطناها في جنازير الدبابة. أسرعنا في تلوين سقف الدبابة باللون الأزرق السماوي، وطرنا من النافذة إلى سماء الله الواسعة.

هناك في السماء، تفقدنا بعضنا، لم نجد غادة بيننا!. متأكدون مئة بالمائة أن غادة كانت معنا في الدبابة، لكن من الذي سرقها من الدبابة حين انفجرت؟ يا إلهي ... هل توجد سماء أخرى غير سمائك؟!

النبـش

نعيم الخطيب*

(١)

عندما قرأ الصاروخ مكتبتي حرفاً حرفاً، اكتشفتُ ما لم أكن أعرفه مسبقاً: أني أحبُّها تلك المكتبة بحجم فراغٍ سكن روحِي بعدها.

(٢)

كتاب يحمل رائحة عطر فرنسي، كانت تضعه طالبة في الجامعة الأمريكية في القاهرة كانت تشتري من مخزن الكتب مجموعة من الكتب

---

* حين ولد نعيم الخطيب في مخيم ما في مدينة رفح، لم تكن لديه فكرة –ككل الأطفال، قديمهم وحديثهم– عما ينتظره في مستقبل تداخلت فيه السياسات والأحزاب والمواقف، ففلسطيني تعني أن تدخل هذا كله شئت أم أبيت. وعندما أنهى دراسته في مدارس المدينة العام ١٩٨٦، وانتقل للدراسة في جامعة بيرزيت، تم إغلاق الجامعة بعد عام ونصف بقرار إسرائيلي، ليتوجه إلى الجامعة الأمريكية في القاهرة، ويحصل على بكالوريوس في علوم الحاسوب، مع تخصص فرعي في المسرح، ويكمل دراسته بعد زمن في جامعة كولورادو في الولايات المتحدة ليحصل على درجة الماجستير في تخصص علوم الحاسوب نفسه، ويعود إلى قطاع غزة. الغريب في الأمر، أن نعيم الخطيب رغم قربه من عالم الثقافة والمسرح طوال سنوات عمره، فإنه لم يمارس الكتابة بشكل عملي إلا في وقت متأخر. صدر كتابه الأول "على الغارب": في سرد الذات، عن دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان في نيسان ٢٠١٠.

المقررة لمساق حلقة نقاش، لاحقاً، سيساعدها صديقها في كتابة البحث النهائي [بمعنى كتابة البحث نيابةً عنها].

يحمل رائحة قهوة ستارباكس المنبعثة من ركن صغير في مقهى داخل مكتبة بارنز أند نوبل في مدينة بولدر في ولاية كولورادو. أنفاس شاب أيرلندي مشبعة برائحة الغينيس، كان يبحث عن أعمال كافكا القصصية الكاملة مترجمة إلى الإنجليزية في الدور الثاني في مكتبة بجوار قلعة دبلن.

رائحة الرطوبة والعفن في مكتبة أحد أبرز اليساريين في غزة، كان يقنع شاباً جاء لشراء الكبرياء والهوى من أجل فرض جامعي بشراء مجموعة ناقصة من أعمال ديستوفيسكي الكاملة بنصف الثمن.

رائحة عوادم السيارات في شارع جامعة الدول العربية عالقة ببسطة كتب لفتى صغير متعفن الثياب والجسد، يبيع نسخ رخيصة من **"الآخرون وبنات الرياض وشقة للحرية وسعوديات والمطاوعة والأوبة ورجالي وعمارة يعقوبيان"**.

رائحة عرق مختلطة بغبار وسط القاهرة. المكان: مكتبة الشروق، أو مكتبة مدبولي، أو مكتبة الأنجلو المصرية، أو دار الكتاب المصري اللبناني، أو دار الكتب المصرية، أو مكتبة المعارف، أو أحد الأكشاك بجوار سور الأزبكية.

رائحة حليب أم تحمل رضيعها وتجر اثنين من إخوته في أرجاء معرض القاهرة للكتاب، تبحث عن الأعمال السياسية الكاملة لنزار قباني.

رائحة فطائر القرفة عالقة بقصاصة ورق تركها صاحب كتاب داخل كتابه المعروض على أرفف الدور الأرضي لمكتبة في ميدان هارفارد في مدينة كامبريدج لبيع الكتب القديمة.

رائحة بخور عالقة بكتاب في مكتبة في شارع الحمرا في بيروت، يقوم مالكها بتسويق مخطوطات بأغلفة قديمة كي تبدو أثرية، وفيها عبارات مبهمة منسوبة لفاطمة والحسين.

(٣)

قالوا ...

إن المكتبة عورة، لذا فقد وضع أرفف الكتب في غرفة نومه.

انظروا إلى الكتب المرصوصة في الأرفف العلوية في خزانة الملابس، وكذلك صناديق الكتب في الجزء السفلي من الخزانة. هناك صناديق أخرى في المخزن في الممر المؤدي لغرفة النوم أيضاً. أما تلك المرصوصة في الجزء الخاص بزوجته، فهي مصدر إزعاج دائم لكليهما.

تتهمه زوجته بالتبذير في كل شيء، والبخل بالكتب والملابس. فهو لم يتبرع يوماً بكتاب، ونادراً ما تبرع بقطعة من ثيابه حتى لو كانت بالية. كان يعتقد أن بعض المقتنيات تحمل شيئاً من روح صاحبها، ويجب ألا تسكن جسداً آخر.

لا يؤمن بفكرة إعارة الكتب، وبخاصة لمن يعيد على مسامعه من أصدقائه مقولة: "أحمق من يعير كتاباً، لأن الأشد حمقاً من يستعير كتاباً ويردُّه".

يشعر بالمرارة عند رؤية كتابٍ من كتبه وقد أصبح ملكاً لشخص آخر بسبب خجله من طلبه.

يخبئ عن أصدقائه امتلاكه بعض الكتب لأنه لم يكن يستطيع مقاومة طلباتهم الملحة باستعارتها للأبد.

لا يوجد لديه قائمة بالكتب التي يقتنيها، بل لديه قائمة بالكتب التي سيشتريها، قصاصات من الورق يحملها في محفظته دائماً.

فكرة أنه لا يستطيع اقتناء كل كتاب يريده، تؤرقه، أخبره صديق يوماً أنه سيتخلص من هذه الفكرة في يوم من الأيام، وبعدُ، لم يأتِ هذا اليوم.

لم يقرر بعد ما سيوصي به بخصوص مكتبته بعد رحيله، هل سيتركها لأبنائه، أم يترك لهم حرية اختيار الكتب التي سيقتنونها؟ في الأغلب سيوصي بالتبرع بها لمكتبة عامة.

له أسلوب فريد في تعليم أبنائه تقدير الفن والجمال، فهو يبدأ بضربهم في سن مبكرة جداً إذا ما اقتربوا -بنية التخريب- من كتاب أو شجرة أو لوحة.

كان أول شيء يفعله بعد شراء كتاب ما، هو إزالة ملصق السعر عنه كي لا تراه زوجته.

يدخل أكياس الكتب سراً إلى بيته ويتخلص بسرعة من تلك الأكياس التي تحمل شعارات المكتبات أو دور الكتب، فتفاجأ زوجته بتزايد رقعة الكتب شيئاً فشيئاً مع الوقت دون أن تدرك السبب.

بخصوص ثمن الكتب التي يشتريها، يجد دائماً عذراً شرعياً للكذب على زوجته.

في أوقات الحصار والحرب كان يخزّن الكتب والأغذية المحفوظة.

لم يكن يقاوم شراء الكتب حتى في وقت تعثرت الرواتب فيه لأشهر عدة، وتراكمت ديونه للمصرف. كان يجد دائماً حجة لدخول المكتبة على الرغم من إحساسه بالذنب عند خروجه منها.

يصدِّقُ دائماً أن الكتاب المنشود سيتحدث إليه ويختاره.

مرةً، لطول فترة بقائه في إحدى المكتبات دون شراء كتاب، اتّهمه صاحب المكتبة العجوز بالتحجج بالشراء بغية التنصت على حديث ممل في السياسة يدور بينه وبين نخبة من أصدقائه من مدمني الثقافة.

يقضي ساعات داخل معارض الكتب باحثاً عن دهشة شاردة، وكان أصحاب المكتبات يعرفونه بهذا ويغضون النظر عن أشياء لم يكونوا يغضون النظر عنها عادةً.

(٤)

فاضت بعدها روحي بالأهل والأصحاب والإفادات ولجان الفحص ولجنة الحي واللجنة الوطنية العليا للإغاثة ووكالة الغوث والصليب الأحمر، ومن مكالمات متطوع في جمعية شمال غرب جنوب غزة، ومن عقود الإيجار وثمن كيس الأسمنت ومواعيد مالك النفق ومعاوني مقاول البناء، ومدير مؤسسة يذكرني بموعد تسليم الخطة الإستراتيجية للمرة الخمسين، بينما أراقب وجوهاً مألوفة لأشخاص لا أعرفهم في طوابير المتضررين، والملابس المستخدمة والبطانيات والفرشات والطناجر ومواد التنظيف وأدوات النظافة الشخصية وملابس داخلية بمقاسات غير مناسبة وحقائب إسعاف أولي في غير أوانها، والعديد العديد من المعلبات. صديق لحف صغاري بذات القصص، صديقان فقط غمراني بكتابين جديدين لمكتبةٍ (لن) تصحو من غفوتها بعد.

١٥ كانون الثاني ٢٠١٠

سلامة راسك يا ستي

علي عبيدات*

في مثل هذه الأيام، وقبل ستين عاماً بالتحديد، كانت ستي الختيارة التي لم تكن تتجاوز الخمسة عشر عاماً في حينها، تستعد لعملية تطبيل وتزمير للجيوش العربية القادمة من أجل التحرير، التي كانت إذاعة صوت العرب من القاهرة بطلتها آنذاك.

وعلى نبرات صوت الإذاعي أحمد سعيد المبثوث عبر الأثير، كانت ستي تطرب فرحاً مع كل تصريح يطلقه، ليبعث شعوراً مؤكداً بنصر قريب، كانت تعطش وتجوع للنصر كلما دعا سعيد سمك البحر ليجوع، في جملة حفظتُها من كثر ما ردّدوها على مسامعي "تجوع يا سمك البحر".

ووسط عملية التحضير تطبيلاً وتزميراً، وحالة انتظار ستي وسمك البحر معاً، لوعود سعيد للعرب، جاءت الجيوش العربية، وبدأت ستي تخبز تحضيراً للولائم، ولائم الانتصار. ولكن الجيوش العربية القادمة أكلت الخبز الذي أعدته، ولكن ليس فرحاً بالنصر، بل هرباً من الجوع، لأنهم أُرسلوا إلى فلسطين بدون زاد وعتاد.

---

* صحافي وكاتب مقدسي، مواليد جبل المكبر – القدس، خريج صحافة وعلوم سياسية من جامعة بيرزيت، أنشر كتاباتي في العديد من الصحف والمواقع الإلكترونية.

فوجئتْ ستي بأقدام غريبة في المكان، حسبتهم جنوداً مقبلين، سيشاركونها فرحة النصر. فكل من حولها آنذاك لم يستطيعوا ثنيها عن التحضير للنصر، لكنهم كانوا جنوداً فارين، ولم تنجح كوفياتهم الحمراء بإخفاء خيبة الأمل التي كانت على وجوههم، ليس لجبن فيهم ولا قلة عزيمة، بل لجبن قادتهم وقلة إدارة منهم، "ودوهم يحاربوا بدون سلاح، بدون أكل، بدون ذخيرة ... ما بكى معهم رصاص، ولا حتى دوا"، ... واستمرت رواية ستي.

لم يُجدِ خبيز ستي نفعاً، فهي ما زالت عطشى للانتصار، وسمك البحر ما زال جائعاً. استشهد من استشهد وقتل من قتل آنذاك، وسطر المقاتلون العرب من جنوب فلسطين لشمالها معارك مجدٍ خالدة، تُحسب لهم شخصياً ولا تحسب لقياداتهم. أرسلوهم ليقضّوا على اليهود ويعودوا، فقضوا دفاعاً عن فلسطين، وهم يطلقون رصاصاتهم الأخيرة. واستقبلتهم أمّهاتهم بزغاريد الشهادة، أية مفاجأة تلك لمن كان يعدّ المنصة لزغاريد الانتصار، وأصبح لزاماً عليه أن يُعدّ كلمات تناسب الرثاء.

آلياتهم ما زالت هنا. أتذكر أني أخذت صورة بجوار دبابة في منطقة الشمال، كان المنظر جميلاً جداً، وكان الشعور كذلك. مشاعر مختلطة امتزجت في لحظة طفولية أذكرها لغاية الآن. كنت حينها فرحةً جداً لأنني ولأول مره أرى دبابة وألمسها دون أن أخاف منها، وفي الوقت نفسه حزنت جداً لأننا لا نملك جيشاً ودولة، ولأن من قضى على متن تلك الدبابة لم يحقق ما جاء لأجله. صدّقت عندها أن العرب يملكون دبابات حقيقية، غير تلك الكرتونية التي كانوا يعرضونها مع كل عيد للاستقلال والثورة.

والآن وبعد ستين عاماً، نحن على أبواب عملية تطبيل وتزمير جديدة، وكلنا يستعد ليطبّل على ليلاه. ستي ومثيلاتها بانتظار الصحافيين أمثالي كي ينقلن الرواية، وأنا والصحافيون أمثالي، نعدّ خطة لمهاجمة ذاكرتهن، ولنسجل، صوتياً، عملية التطبيل التي يعدّ لها المسؤولون، كل حسب موقعه ومرتبته، وحجم المهرجان المدعو إليه.

زميلي لم يرغب في أن يطبّل ويزمر، وتساءل إن كان سيقول للحضور عقبال الـ ١٢٠. وأنا أتساءل أيضاً، ماذا سأقول لمسنة في حي بمخيم، تعبت من كثر ما شاهدتني وزملائي على أبواب منزلها، وتعبت أكثر من وعود لم تتغير رغم تغيّر مُطلقيها.

ستّي تعبت، وسمك البحر أيضاً، لكنها لم تفقد الأمل بالنصر. وأنا تعبت كذلك، رغم أني لم أقم إلى الآن بتغطية عمليات تطبيل كثيرة، ولكني سأظل دائماً أعدّ نفسي لعملية تطبيل كالتي أعدّت لها ستي قبل ستين عاماً، رغم أن ستّي لم تقل لي في ذكرى النكبة، إلاّ "سلامة راسَك يا ستي".

معادن

وسيم دويكات*

لا أحد يذكر تماماً متى كانت هذه المدينة، ولا أشياء تستعاد في الذاكرة عن ملامح وجهها.

في وقت ما كانت، وكان لها اسم لامع، وجسد رائع، وأبواب، ورجال يحرسونها.

وفي وقت آخر، لا أحد يذكره، نامت المدينة، وراحت البيوت والناس والأسرار في سبات.

لم نعرف سبب نومها العميق! ترى هل هدَّها التعب؟

في الوقت ذاته، أُغلقت الأبواب، وتحول الحراس إلى معادن تُكَسر وتسرق وتغتصب وتقاوم!

المدينة نائمة دوماً، وهادئة أحياناً.

تسمع بين الحين والآخر قرقعة وجلبة في الأزقة.

يتشاجر معدنان مع بعضهما،

---

* من كتاب صوت النساء.

يخرقان الهدوء ويعيثان فساداً.

ما من أحد على قيد اليقظة، ليسعى في حل عشائري،

ولا حتى يوجد قانون في مدينة، صارت تشبه المرايا المكسورة.

قالت شجرة: "أحد المعدنين اختبأ عند قدمي، وكان يرتجف ويلهث، ويجد الوقت ليتحسس نعومة ساقي. كان كتلة معدن، قطعاً معدنية تجمعت على هيئة بشر؛ وجهاً مزغّباً مخضرّاً وعينين حادتين. الجثة ضخمة، مغطاة بقماش أسود وأخضر داكن. كان خائفاً رغم ما يحمل من سلاح أوتوماتيكي".

شجرة أخرى: "رأيت قطعة معدنية بالأمس تختبئ ورائي، فتوردتُ خجلاً. جاءت قطعة ثانية، فوشيت لها، ظناً مني أن الأولى تهرب من الثانية، أو العكس. تصافحتا، اتفقتا وتناوبتا على اغتصابي، وعند منتهى اللذة أطلقت إحداهما النار علي، ولم أمت. هل كان يوم قيامة؟!".

تحدثتْ صخرة فقيرة، عن صداع في رأسها، يلازمها منذ أيام، وكل حبوب النوم التي جربتها لم تمنحها قسطاً من النوم.

صخرة أخرى، بريئة، وجدت جريحة في أحد أركان المدينة، كان في يدها نصف وردة، وعلى وجهها قصاصات ورق معطرة، على إحداها كتب: "أحبكِ أو لا أحبك/، ... هيتَ لك ما أجملك".

شوهد قط شارداً، شارد الذهن في زقاق المدينة، لا أحد يعرف وجهته، أو نواياه. لوحظ عليه مزاجه العصبي، حيث كان يسب ويشتم.

وعندما سئل عن السبب، بكى، وتحدث عن أن قطعة معدنية سافلة، اغتصبت قطته الجميلة وهتكت شرفها، وبأن قطعاً معدنية أخرى قتلتها؛ مسحاً للعار.

تساءل القط بحرقة: "هل الرجل معدن ثائر جنسياً؟ أم العكس؟"

بعد سبع سنوات معدنية، وجدت الأشجار متفحمة في شتاء بلا ماء، وكانت عارية وحافية. والصخرة تعاني من مرض مزمن غريب، والأخرى المصابة توفيت متأثرة بجراحها، أما القط المقهور، فقد سافر إلى دبي للعمل في مجال المعمار.

بعد سبع سنوات،

المدينة لا تزال تنام،

والمعدن لا يزال يتحرك!

انتظار

ديما أحمد صالح*

انتظرت تلك اللحظات لسنوات عدة، لم تفارق خيالي وأحلامي أبداً.. عشت أستنشق غبار الذكريات ... أصرف من رصيد الماضي حتى نفد ... .

جاء اليوم الذي حلمتُ به،.. كل شيء يتراقص من حولي ... وهاي اللحظة قد حانت!

بقي من الانتظار ساعة ونصف.. لا لا .. دعوني وشأني .. دعوني مع لذة الألم ... لا مع لذة الفرح.

ساعة واحدة .. الوقت يمر كأنه سنة! أطفو على ما لم أجد له مُسمى.

نصف ساعة فقط ... أطير وكأنني على سطح القمر! قوة خفية تقذف بي هنا وهناك ... .

---

* من مواليد ١٩٨٠، لبنان. تنقلت ما بين لبنان، وتونس، وبلغاريا والسودان، وعادت إلى فلسطين في العام ١٩٩٧. حاصلة على درجة البكالوريوس في علم الاجتماع، والماجستير في الديمقراطية وحقوق الإنسان من جامعة بيرزيت ٢٠٠٧. تعمل حالياً كمنسقة حملات في مؤسسة طاقم شؤون المرأة. لها عدد من القصص القصيرة والمقالات ذات الطابع الاجتماعي والسياسي الساخر. تكتب في صحيفة **صوت النساء** والحوار المتمدن.

هذا المكان يحمل في كل زاوية من زواياه ذكرى ما حدث ... دموع ... حكايات ... عالم بأكمله ... فلو تكلمت جدرانه لأسمعت العجب ... .

سأشتاق لأم علي وطبعاً طفلها آدم! لقد وُلد هنا وكنا له جميعاً أمهات.

طفولة غير عادية! فهو لم يعرف غيره طفلاً ... لم يعرف شكل الدمية ... ولم يرَ شقيقه الذي يكبره بعشر سنوات إلا في فترات متباعدة.

هو بسمة الأمل في هذا المكان.

وأنتِ يا دعاء؟؟ ما هو مصيرك؟ هل ستلحقينني في يوم من الأيام؟

الحقائق تقول أنك ستبقين هنا ... لكن المعجزات تحصل في بعض الأحيان.

انتظري المعجزة يا دعاء، لربما رأيتك ذات يوم.

ربع ساعة .. ربع ساعة .. وسأرى الدنيا! السماء الزرقاء الجميلة!

كيف أصبح العالم في الخارج يا ترى؟؟

"هل ما زال الهواء نقياً؟ هل ما زالت الطيور تُحلق في السماء؟ أشتاق للون الطبيعة الخضراء .. رغم أن اللون الأخضر صار في نظري رمز الشقاء".

"وكيف أصبح شكلُ الشارع؟ أخشى ألا أعرف كيف أشق طريقي .. أن أفزع لرؤيتي تلك المركبة التي تسير على أربعة!

في هذا المكان .. لم أذق طعم النوم .. خوفاً من أن يُطبقَ السقف على جسدي، فيسحقني إذ أغمضت عيوني، أو أن يأتوا إلى الحجرة ليعبثوا بجسدي! ما لذي سيجدونه في هذا الجسد؟

حينما أخرج للدنيا .. سأفعل كل ما أتمنى، لن أدع مكاناً إلا وسأطأه، لأستغل كل لحظة من وقتي. وسآكل كل ما أشتهي. باستثناء الفاصولياء البيضاء، وسأنام في العراء حيث السماء فوقي ولا يحيط بي إلا الهواء، كما سأتواصل مع الناس جميعاً.

لكن ...

هل سيتقبلونني بعدَ كلِّ هذا الوقت؟

ما فعلتُهُ لم يُغير شيئاً في الواقع .. على الرغم من أن المجتمع كان في الماضي يراه عملاً عظيماً، أما الآن فقد اختلف الوضع، وبخاصة مع امرأة، صارت لنا حسابات أخرى .. وكثرت الترهات.

هل سأتقبلهم؟ هل أستطيع العيش معهم؟

كنت قبل أربع سنوات في مرحلة العشرينيات ... أما الآن .. فلا يهم.

المهم أن أستنشق القليل من الهواء وبعدها لأموت ... لا أكترث لأي شيء مُقبلة عليه.

حان الوقت!

جمعت أغراضي البسيطة التي رافقتني كل هذه السنوات، ورفعت نظري إلى تلك الفتاة التي فتحت الباب، بزيها الأخضر الكريه لتقول لي بسخرية وبلغتها العربية الركيكة: لن تخرجي اليوم.

ما الذي تقولينه؟؟

سيتم تأجيلك للأسبوع القادم مع المجموعة الخارجة ضمن صفقة التبادل.

انتظرت أربع سنوات بكل ثقلها ومرارتها .. لكن .. هذا الأسبوع سيمضي وكأنه دهر.

لا أستطيع وصف ما بداخلي .. فكأنني عاشقة ستلتقي بحبيبها بعد طول انتظار .. لتكتشف نسيانه لها!! أو ربما إدعاءه النسيان!!

تجلس بقربه لعله يراها، تتأمل عضلاته المفتولة وكتفيه العريضتين، ترغب في وضع رأسها عليهما .. وفي لمس رأسه .. وفي الحصول على خيط من خيوط الفضة المثيرة .. لكن يدها تتجمد في منتصف الطريق.

يُخيم على المكان حشد من الناس يحجب عنها رؤيته.

تمنت لو أنها أشبعت عينيها من ملامحه.

لا تجد أمامها حلاً إلا أن تحادث نفسها فتقول: انتظرت هذه اللحظة لسنوات طوال!! أرجوك أجبني!! فلتنصت لصوت قلبي؟؟

لتنظر في وجهي!! أتوسل اليك!

لكنه لا يسمع ...

ينهض فجأة ... مخلفاً وراءه قلباً حزيناً.

في مكانها لا تستطيع الوقوف على ساقيها لتتبعه .. وحينما تتمكن من النهوض، تعرقلها الجموع فلا تستطيع الوصول إليه.

فتذرف دموع اليأس والعجز.

نهاية البرزخ!

رحمة حجة*

وحين يشدّ حنين البلاد

لنا يا أخي موعد

لنا خلف هذا الضباب المترس بالهندسة

بحر وشمس وظلٌ في المساء

لنا زغاريد أم لم تُحَمِّلك الوداع الأخير

ولنا كلّ نسيج العمر

---

* رحمة محمود حجة، مواليد العام ١٩٨٥، ولدت في قرية عرّابة قضاء محافظة جنين، تربت ونشأت في مدارس القرية الأساسية والثانوية، وأتمت دراستها الجامعية في جامعة بيرزيت لتحصل على درجة البكالوريوس في تخصص الصحافة والعلوم السياسية. تمارس الكتابة الأدبية والصحافية على مدونتها الإلكترونية المعنونة بـ "ذاكرة للتشريح"، إلى جانب النشر في بعض المواقع الإلكترونية والصحف المطبوعة.
ما زالت تبحث عن عمل وتسعى إلى فرصتها للتوظيف في إحدى مؤسسات الوطن التي تتفق ودراساتها وطموحاتها لخدمة الوطن والمجتمع، إلى جانب عملها التطوعي كمنسقة لمبادرة كتابي كتابك العربية –محافظة جنين– الرامية لإقامة المكتبات العامة للأطفال في المخيمات الفلسطينية والتجمعات السكانية المهمّشة والفقيرة.

المتمزق على كتفيه

وأنبتَ سندساً

وحين الزمان يدني عزائمه العظام..

وتنحني النار لريح الغريب

فيتألق حمام السلمِ على ذيكَ الحواجز

لنا يا أخي بعضنا

لنا روحنا في الزّحام

وجرحٌ توّرد في مقلتينا

فيلعننا وطنُ المنافي

سماءَ اليمام

أخي يا أخي

هل تبصر ماء السواقي

أنفاس من مرّوا بجانبه؟؟

أوَ يرحلون بعيداً بعدما

عطشت سواقيهم هناك!!

تبصّر جيداً

تأكد..

أمِن أحدٍ غير ماضينا

المحاصر بالبنادق والربى؟

هل من سواك!!

حيث الطريق طويلة

ومريرة حتّى هنا

حتى اللقاء ...

ها أسمع همساً

يناجينا .. أتسمعهُ؟

سنحيا ونطرد من لوثوا

الأرض بجيفهم

بخطيّة الدم و التراب..

تيقن..

سننزع اللغة الغريبة

من شوارعنا

و نرتاح الرصيف انتظاراً

وحدنا .. سننتظرُ التنقل

من الجليل لغزة

غزة للجليل

لا اكتراث للون العبور

فلا للأصفر معنى

على خلفية التاكسي

ولا للأزرق مغزى

في محافظنا .. إلا السماء

نتجوّل وحدنا

نحتمي برائحة العراء

لنا يا أخي موعد

بعد ذاك الغمام

فنحن المدى

ونحن الشتاء العظيمُ

تأكد..

سنحيي زهور البنفسج

ونروي الطيور الجريحة

حين تحطُّ أكتافنا

فعاليها يناظرنا طيرٌ لا ينام!

١٠ شباط ٢٠١٠

السـجن

رؤى محمد علي عباس*

الظلمة تزداد اتساعاً، ستار الأنفاس المترقبة يتطاير تباعاً، ويهيج في المكان مسدلاً هالة رمادية تزداد توغلاً في لجة العتمة. جميعهن ينظرن إليها، وهي لا تزال قابعة في سريرها، تصارع ألمها المجنون، رافضة الاستسلام له، بل إنها ترفض إخضاع نفسها لواقع من حولها. كانت كل النساء المتحلّقات حولها ينظرن إليها بعجب أخرس، فالآلام تتقاذفها تباعاً، وسعاد ترفض الانصياع ...! وتجتر صمتها وترفض. وكلما ازداد الألم، كانت عتمة السجن تزداد ضيقاً عليها، وتزداد النساء التفافاً حول جسدها المهشم. أحست جميع النساء بأن الموعد قد حان، ولكنهن ما زلن ينتظرن شيئاً آخر! أخبرتْ إحداهن السجّانة، "أن سعاد بحاجة لطبيب فالموعد قد حان"، ولكن السجّانة لم تبدِ أي اهتمام بالخبر، فسعاد أسيرة صمتها المجنون.

كان كل شيء فيها ينتفض، جسدها، أنفاسها، أحشائها المتآكلة، وحتى سريرها الصدئ أخذ يصدر أصوات الرفض تلك. فهي ترفض تعوّد الخضوع، وحتى أشهر السجن الستة التي انقضت لم تنجح في سرقة شيء من عزيمتها سوى ما مر من زمن، وقليل من ثنايا الألم الفطري الذي أخذ ينمو في أحشائها مع كل رشفة هواء ابتلعتها لتتقاسمها معه.

---

* جامعة النجاح الوطنية، مجموعة مسابقة "عايدة".

حاولت أن تصمد، أمسكت دقات قلبها لعلها تتوقف عن التأرجح، ولكن قلبها المتلاطم أخذ يزداد اتقاداً. راح يعلو صرير جسدها، تتناثر أصدائه في عتمة المكان. واكتسح الصمت أفواه الجميع. تكومت الظلمة حول جسدها، اكتسحت المكان وراحت تلقي طقوساً من الهواجس التي أغرقت فسحات السجن الضيقة، أحست بأنها تذوب في لجة الظلمة تلك، حاولت النهوض، مدت يدها، تعلقت بخيوط الرماد المنتشر، وما إن ارتفعت حتى راحت أشباح الظلمة تضغط بزفيرها العفن على ثنايا جسدها الهش لتعود بها إلى نقطة البداية، إلى الحركة الأولى، البسمة، الضحكة، الصرخة، الدمعة، وإلى اليوم الذي انطلقت تركض فيه في الاتساعات اللامتناهية من بيادر القمح، إلى فضاءات الفسحة الممتدة على صفحة الأرض. كانت الأيام تتراكض في هاجسها المُغيَّب، تُقلب صفحات عمرها واحدة تلو الأخرى، الأحلام، السعادة، الحب، محاولة التغير، وركام المنازل. بحثتْ في صفحة حلمها، "أين منزلي" ؟ تساءلت وهي تلملم ما تبقى لها من أشلاء حلم. "ثم طفلي الذي يحتضن رحمي أين سوف يسكن"؟ قالتها، وراحت الأحلام المتهاوية تتساقط أمامها كركام منزلها. أخذت الأحاسيس تتقاذفها ثم صرخت "أين زوجي؟ أين اختفى؟". وانطلقت فيها انقباضة أخرى، لتطلق صراخها في زوايا السجن. لحظتها اكتسح الجميع صمت غامض، وعلت وجوه النساء من حولها نشوة غريبة، فسعاد الآن، والآن فقط استسلمت لآدميتها كأم وارتمت كقطعة خشب هرمة. كان الهواء يتمايز في تلابيب جسدها. أخذت معالمها تتلاشى، ترحل مع الريح، وتستيقظ من غفوة لتغرق في أخرى. كانت تفتح عينيها مع كل انقباضة في جسدها، في انتظار أن يخرج، ومن ثم تعود لتصمت، فهي لم تعتد صوتها الذي انطلق فجأة وعاد وخفت.

أخذت تغرق في هالة ألمها، توقف جسدها عن الأرجحة، وراحت في غيبوبة سوداء، لم ترَ فيها أحداً. بحثت عن حدود الجدران، المساحات الضيقة، النساء القابعات معها في السجن، ولكن لا وجود لأحد! وفجأة التمع نور في صفحتها السوداء أنار المكان من حولها، حاولت الاقتراب

منه، اقتربت ... واقتربت، وعندما حاولت الإمساك به، صرخت بكل ما فيها من قوة، كانت صرختها مزيجاً من الحزن والسعادة، الألم والقرف، الانعتاق والحبس. لم تعِ شيئاً، أرادت فقط الانعتاق من غيبوبتها السوداء. لحظتها فتحت عينيها، أحست بغرابة المكان، حاولت تحسس جسدها فلم تستطع، أرادت البحث عن الانتفاخ في بطنها فلم تجده! اكتسحها الهلع، حاولت النهوض فوجدت جسدها قد كُبل بالأصفاد التي رميت بها مصلوبة على السرير، صرخت ... وصرخت، "أين ابني؟ أريده ... أريده الآن".

اقتربت منها "السجانة"، نظرت إليها وهي تبتسم وقالت: أخيراً سمعنا صوتك، ابنك في الغرفة الأخرى سنحضره لك.

انتشت سعاد بسماع كلامها، وارتسمت على شفتيها ابتسامة غريبة الملامح وراحت تردد كلمات غريبة وكأنها طلاسم. أحست سعاد بأنها تتعلم الكلام للمرة الأولى. لم تفهم "السجانة" شيئاً مما تقوله سعاد، وأحضرت لها طفلها الذي أطلق صدى صوتها المتحجر منذ سنين، بعد أن أمطر على شفتيها السعادة.

ولادة من رحم الموت

عزة عز الدين حسين*

إبريق "الشاي" الذي يغلي يدندن .. عقارب ساعة الحائط تتململ بكسل ودقائقها تشير إلى الثانية عشرة والنصف ليلاً...، تنظر إليها بامتعاض شديد، وكأن برد شباط أحال الوقت إلى كتلة ثلجية صلبة. شوارع القرية، التي لم تغادرها ولو لساعة عجلات الجيبات العسكرية الإسرائيلية، محمومة رغم البرد الشديد. تتأمل ميسون الشرفة ذات الستائر الخضراء، التي استحمت بقطرات المطر، وكأنها تراها للمرة الأولى ... وفجأة انتابتها قشعريرة ما، وازدادت مع هبة هواء قوية، وكادت تكسر النافذة المطلة على الشارع الرئيسي. هبات الهواء تلك، أحالت قشعريرتها إلى ألم في بطنها ... تحتضن جنينها بعمق وتُهَدِّئ من روع نفسها، وهي تنظر إلى الشرفة المحتضرة، فهي لم تزل في أول أيام شهرها التاسع.

وسرعان ما جفلت على إثر حركة دعابية قام بها زوجها محمد ممازحاً إياها قائلاً: على ما يبدو أنّ فداء ستصبح في المستقبل أشهر لاعبة ملاكمة ... لم يبقَ سوى أيام قلائل وأحتضنها بين ذراعيّ. "إن شاء الله" تردد ميسون بصوت خافت. تحضر كوبين من الشاي وتدعوه

---

* جامعة النجاح الوطنية– مسابقة "عايدة".

لاحتسائه معها، وتخبره عن خوفها "بأنّ تلك الآلام، من الممكن أن تكون مقدمة لآلام المخاض" ... وبدوره يُخفف من قلقها، بكلماته الدعابية قائلاً: "ألم ... وتحتسين الشاي، الزهورات أفضل"؟!

ويحدق في مرفأ عينيها وكأنه يرى ناظريها لأول وهلة، ويبتسم مقترباً منها قائلاً: عيناك عند المغيب كزورق جميل يجوب صمت البحار.

"محمد" ... ثم تصمت هنيهة، أخاف أن ألد في مثل هذا الوقت، الحواجز والإغلاق ... و... و... .

يحاول احتواء خوفها مضيفاً: أقول لك إنّك البدر في اكتماله وأنتِ تتحدثين عن الحواجز خوفاً وأنا بجانبكِ، جاملينا ولو بكلمة واحدة.

تلتحف ميسون برداء الصمت ويدها اليسرى تحتضن جنينها بقوة، وباليد اليمنى بللت الخبز الذي كانت قد أحضرت بعضاً منه بالشاي. وفجأة تتعالى تأوهاتها، وينزلق منها كوب الشاي أرضاً. ويهُبُّ محمد من مكانه كالجواد ويحمل زوجته إلى السرير، "الإسعاف، لكن هناك حصاراً، وقد لا يأتي"، ... يصدح صوته. لم يكترث محمد لنعيق الريح والمطر الصاخب في الخارج. ارتدت شفتاه حلة خوف وأمل متناوبين، وكأنه يسمع فداء تنادي. يستقل محمد سيارته الخاصة وزوجته وأبيه وينطلق مسرعاً مطوّقا بتعويذة أمه ... الطريق حبلى بأشباح الاحتلال التي قد تظهر في أي لحظة ... والمسافة التي تفصل "زيتا- جمّاعين" عن حاجز حوّارة، تحتاج إلى نصف ساعة على الأقل. كانت الساعة، المتصلبة في السيارة، تشير إلى الثانية والنصف صباحاً. أخذت السيارة تقترب، بحذر مشوب بالخوف، من حاجز حوّارة، ثم توقفت على مسافة من الحاجز، انتظاراً لأوامر الجنود لهم بالتقدم. يُصوّب الجنود بنادقهم نحو السيارة من حيث الحاجز، ... وعدد منهم يقترب وعيونهم عليهم كالزناد. تلتفت ميسون إلى الوراء وإلى الأمام، وتتلاحق أنفاسها شيئاً فشيئاً ... أفواه الجنود المكممة داخل ملابسهم القريبة من أعناقهم تلتحف قشعريرة البرد. وتتعالى منها أصواتهم المخنوقة مطالبة أفراد السيارة بالنزول. يقترب الجنود، يضربون السيارة بأفواه بنادقهم، وسرعان ما تتفجر

عبارات "محمد" كينبوع ماء يسير في صحراء جدباء، "زوجتي ستلد"، وبحشرجة تتذلل الكلمات في فم "ميسون" لتشير بيديها إلى الجنين... .

"اكشف عن بطنك"، يصرخ أحد الجنود ... شرفةُ منزلها، تحوّلت الآن إلى شرفة ليل في العراء. تتناوب نظراتها مُحدّقة في السماء وفي عينيّ زوجها، ويغتال الصقيع بعض الدفء الذي منحها إياه لباسها بعدما أذعنت لطلبهم ... يقترب أحد الجنود أكثر ويطلق نباح ضحكة ساخرة، ويعطي الضوء الأخضر لهم باجتياز الحاجز.

تجتاز السيارة الموقع الذي يتحصّن فيه الجنود، سرعان ما يتعالى إطلاق النار ... تصرخ ميسون "محمد .. كن حذراً".

انطلق الرصاص كحبات بَرَد لا تعرف التوقف. تقف السيارة مرغمة بعدما خرم الرصاص عجلاتها. تحني ميسون نفسها وتختبئ وراء حقيبتها. زخات الرصاص المتزاحمة في هذا الليل خنقت الصمت المرعب، فلم يعد يسمع شيء سوى صوت الريح وهي تعول ... .

وفجأة، يتوقف انهيار الرصاص، أنفاس ميسون تكاد تتهاوى، وجسدها لم يتوقف عن الانتفاض ... تهب واقفة لتطمئن على زوجها وعمها، تنادي: "محمد ...".

لم يعد يسمع في هذا المكان سوى نباح الريح وهمهمات الليل. تنظر إليه فينتفض جسدها بقوة وتختنق التنهيدة والصرخة وهي تتحشرج في حنجرتها "مح..". تحجرت عيناها مكانهما حين رأت الدماء تخرج من فمه وكأنه ساكن سكون النائمين، وابتسامة ذات وميض غريب تلوح على وجهه.

يتحرر صوتها من غمده "محمد .. محمد"، تلتف جانباً فإذا بالدم قد لفّع جسد عمها... .

تقف دون حراك حين ترى مجموعة من الجنود تحيط بالسيارة، تلمس محمد بيديها اللتين اصطبغت بدمه، تخرج من السيارة بناء على ندائهم

... شَرَرُ عيونهم كمدية تغوص في القلب ... تحتضن جسدها بقوة وكأن بها تحتضن شهقاتها حين أحسّت بأنها أصيبت بالرصاص ... يتسارع الألم كسكاكين تبتر الجسد بصمت وبملل شديد. يقذفها الجنود في العراء والصقيع يُصفّد فيها سلاسل أخرى من العذاب والألم ... لتفترش من ثوبها الممزوج دماً بساطاً أحمر تخطو عليه فداء.

"انزعي الروب والبلوزة وكافة ملابسك"، يصرخ أحد الجنود ... .

غدت ميسون كطفلة ولدت للتو، وكأن دم الولادة ما زال يغطي أرجاء جسدها، فلفاعها العراء ولحافها السماء ... أحال الصقيع والبرد القارس جسدها العاري أمامهم إلى يباب أرض جدباء، ولكأن أنفاسها احتبست وهي تستصرخ رحمة منهم ... مرت ساعة وهي تناجي العراء لكن دون جدوى، على مسافة ليست ببعيدة منها تقترب شارة ضوئية حمراء، وتلقي بظلالها على عينيها ... تقترب سيارة الهلال الأحمر الفلسطيني، تلوّح ميسون بيدها، فيقترب أحد المسعفين بعد أخذ الإذن من الجنود، ويخلع سترته ليغطي جسدها. الجروح تفتحت في جسدها وهي تستصرخ متألمة لألمها ولجسدها الذي استبيحت كرامته وهو مشرّع في العراء وعيونهم تستلذ عذاباتها ... يضع المسعفون ميسون على ناقلة الإسعاف، فيقترب أحد الجنود ويركلها بقدمه، فيرتطم جسدها مرة أخرى ويقع على الأرض التي امتصت دماءها ... .

تسمع ميسون صرخة فداء، فتنفرج شفاهها عن ابتسامة همّت بالارتسام لكن سرعان ما غابت لتنزلق الدمعة تناوش حبات العرق البادية على محياها.

"محمد ... ما هي أخباره، أنا رأيته، لقد كان مغمى عليه"، تنظر إلى الطبيب بعيون تستجدي عبارات الاطمئنان منه. تقبّل يديها اللتين احتضنتا بعضاً من دمه، وتغوص في بحر ابتسامته الأخيرة ... .

"أترى كوب الشاي الذي امتلأ بفتات الخبز لقد تحوّل إلى نبيذ من الخمر"؟ ..."أتراه كان العشاء الأخير"؟ ... تضم فداء وتقبلها بعمق،

وكأن دفين الحزن والشوق في قلبها هما اللذان يقبلانها ... تهمس في أذنها "تُرى، أي شموع عيد ميلاد سأشعلها لكِ يا حبيبتي".

تنظر هذه المرة من شرفة بيت والدها، وكأنّها ترى محمداً يطلُّ مع وهج الشمس ومن سنابك الخيل ومع زوارق البحر ... "ويحهم، ظنوا أنهم أسكنوك 'تارتاروس'"** .. تواصل الإمعان في الشارع بشوق للقاءٍ يغزو كل الطرقات ... شرفتها ليست كشرفة "وفيقة سيّاب"، ومع ذلك تدندن بأبيات السّياب فقط لتناغي جفاء "محمد" المسافر الذي طالت غيبته:

"لقد طال منذ الشتاء انتظاري"، "ففيم التأني وفيم الصدود".

** مكان مخصص لدفن الموتى في الأساطير اليونانية، من يذهب إليه لا يحيا مرة أخرى.

منشورات مواطن

سلسلة دراسات وأبحاث

دراسات في الثقافة والتراث والهوية
شريف كناعنة

العَتَبَة في فتح الإبستيم
إسماعيل ناشف

العمالة الفلسطينية في إسرائيل ومشروع الدولة الفلسطينية
ليلى فرسخ

مدخل في تاريخ الديموقراطية في اوروبا
عبد الرحمن عبد الغني

النساء والقضاة والقانون: دراسة أنثروبولوجية للمحكمة الشرعية في غزة
نهضة يونس شحادة

نساء على تقاطع طرق: الحركة النسوية الفلسطينية بين الوطنية والعلمانية والهوية الإسلامية
إصلاح جاد

في المسألة العربية: مقدمة لبيان ديمقراطي عربي
عزمي بشارة

تمكين الأجيال الفلسطينية: التعليم والتعلم تحت ظروف قاهرة
تفيدة جرباوي وخليل نخلة

"وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ": الإسلاميون والديمقراطية
رجا بهلول

فلسطين الى أين؟ تلاشي حل الدولتين (باللغة الإنجليزية)
تحرير جميل هلال

الطبقة الوسطى الفلسطينية، بحث في فوضى الهوية والمرجعية والثقافة
جميل هلال

النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو: دراسة تحليلية نقدية
(طبعة ثانية – مزيدة)
جميل هـلال

نظريات الانتقال إلى الديمقراطية: إعادة نظر في براديغم التحول
جوني عاصي

من التحرير إلى الدولة: تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٨-١٩٨٨
هلغى باومغرتن

تقاسيم زمّار الحيّ – مقالات
فيصل حوراني

بروز النخبة الفلسطينية المعولمة (باللغة الانجليزية والعربية)
ساري حنفي وليندا طبر

الحداثة المتقهقرة: طه حسين وأدونيس
فيصل دراج

صفد في عهد الانتداب البريطاني ١٩١٧ – ١٩٤٨
مصطفى العباسي
بالتعاون مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية والمقدسية

الجبل ضد البحر
سليم تماري

من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية
عزمي بشارة

تشكل الدولة في فلسطين (باللغة الانجليزية)
تحرير: مشتاق خان، جورج جقمان، انج أمندسن

مستقبل النظام السياسي الفلسطيني والآفاق السياسية الممكنة
تحرير: وسام رفيدي
وقائع مؤتمر مؤسسة مواطن، ومعهد ابراهيم ابو لغد ٢٠٠٤

التربية الديمقراطية، تعلم وتعليم الديمقراطية من خلال الحالات
ماهر الحشوة

حركة معلمي المدارس الحكومية في الضفة الغربية ٢٠٠٠-١٩٦٧
عمر عساف

المجتمع الفلسطيني في مواجهة الاحتلال: سوسيولوجيا التكيف المقاوم خلال انتفاضة الاقصى
مجدي المالكي واخرون

اسطورة التنمية في فلسطين: الدعم السياسي والمراوغة المستديمة
خليل نخلة

جذور الرفض الفلسطيني ١٩١٨-١٩٤٨
فيصل حوراني

القطاع العام ضمن الاقتصاد الفلسطيني
نضال صبري

هنا وهناك نحو تحليل للعلاقة بين الشتات الفلسطيني والمركز
ساري حنفي

تكوين النخبة الفلسطينية
جميل هلال

الحركة الطلابية الفلسطينية: الممارسة والفاعلية
عماد غياظة

دولة الدين، دولة الدنيا: حول العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية
رجا بهلول

النساء الفلسطينيات والانتخابات، دراسة تحليلية
نادر عزت سعيد

المرأة وأسس الديمقراطية
رجا بهلول

النظام السياسي الفلسطيني بعد اوسلو: دراسة تحليلية نقدية
جميل هلال

ما بعد اوسلو : حقائق جديدة (باللغة الانجليزية)
تحرير : جورج جقمان

ما بعد الازمة : التغييرات البنيوية في الحياة السياسية الفلسطينية ، وآفاق العمل
وقائع مؤتمر مواطن ٩٨

التحرر ، التحول الديمقراطي وبناء الدولة في العالم الثالث
وقائع مؤتمر مواطن ٩٧

اشكالية تعثر التحول الديمقراطي في الوطن العربي
وقائع مؤتمر مواطن ٩٦

العطب والدلالة في الثقافة والانسداد الديمقراطي
محمد حافظ يعقوب

رجال الاعمال الفلسطينيون في الشتات والكيان الفلسطيني
ساري حنفي

مساهمة في نقد المجتمع المدني
عزمي بشارة

حول الخيار الديمقراطي
دراسات نقدية

سلسلة رسائل الماجستير

الدبلوماسية العامة الفلسطينية بعد الانتخابات التشريعية الثانية
دلال باجس

الإنتخابات والمعارضة في المغرب بين التحول الديمقراطي
واستمرارية النظام السلطوي (١٩٩٧-٢٠٠٧)
نشأت عبد الفتاح

عن النساء والمقاومة : الرواية الاستعمارية
أميرة محمد سِلْمي

التغيير السياسي من منظور حركات الإسلام السياسي : "حماس" نموذجا
بلال الشوبكي

المجتمع المدني "بين الوصفي والمعياري" : تفكيك إشكالية المفهوم وفوضى المعاني
ناديا أبو زاهر

النقد والثورة : دراسة في النقد الاجتماعي عند علي شريعتي
خالد عودة الله

حركة "فتح" والسلطة الفلسطينية : تداعيات أوسلو والانتفاضة الثانية
سامر إرشيد

سلسلة مداخلات واوراق نقدية

الإعلام الفلسطيني والإنقسام : مرارة التجربة وإمكانيات التحسين
تحرير : خالد الحروب وجمان قنيص

قبل وبعد عرفات : التحول السياسي خلال الانتفاضة الثانية
جورج جقمان

أن تكون عربياً في أيامنا
عزمي بشارة

المنهاج الفلسطيني اشكاليات الهوية والمواطنة
عبد الرحيم الشيخ (محرراً)

الحريات المتساوية حقوق المرأة بين الديمقراطية – الليبرالية وكتب التربية الإسلامية
وليد سالم وإيمان الرطروط

اليسار والخيار الاشتراكي قراءة في تجارب الماضي ، واحتمالات الحاضر
داوود تلحمي

تهافت أحكام العلم في إحكام الإيمان
عزمي بشارة

الديمقراطية والإنتخابات والحالة الفلسطينية
وليم نصار

إطار عام لعقيدة أمن قومي فلسطيني
حسين آغا وأحمد سامح الخالدي

نحو أممية جديدة : قراءة في العولمة/ مناهضة العولمة والتحرر الفلسطيني
علاء محمود العزة وتوفيق شارل حداد

التنظيمات والأحزاب السياسية الفلسطينية
جميل هلال

الأحزاب السياسية الفلسطينية والديمقراطية الداخلية
طالب عوض وسميح شبيب

الراهب الكوري . . سَفَر وأشياء أخرى
زكريا محمد

واقع التعليم الجامعي الفلسطيني : رؤية نقدية
ناجح شاهين

طروحات عن النهضة المعاقة
عزمي بشارة

ديك المنارة
زكريا محمد

لئلا يفقد المعنى (مقالات من سنة الانتفاضة الاولى)
عزمي بشارة

في قضايا الثقافة الفلسطينية
زكريا محمد

ما بعد الاجتياح : في قضايا الاستراتيجية الوطنية الفلسطينية
عزمي بشارة

المسألة الوطنية الديمقراطية في فلسطين
وليد سالم

الحركة الطلابية الفلسطينية ومهمات المرحلة تجارب وآراء
تحرير مجدي المالكي

الحركة النسائية الفلسطينية اشكاليات التحول الديمقراطي واستراتيجيات مستقبلية
وقائع مؤتمر مواطن ٩٩

اليسار الفلسطيني : هزيمة الديمقراطية في فلسطين
علي جرادات

الخطاب السياسي المبتور ودراسات أخرى
عزمي بشارة

أزمة الحزب السياسي الفلسطيني
وقائع مؤتمر مواطن ٩٥

المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في فلسطين
زياد ابو عمرو واخرون

الديمقراطية الفلسطينية
موسى البديري واخرون

المؤسسات الوطنية، الانتخابات والسلطة
اسامة حلبي واخرون

الصحافة الفلسطينية بين الحاضر والمستقبل
ربى الحصري واخرون

الدستور الذي نريد
وليم نصار

سلسلة اوراق بحثية

دراسات اعلامية ٢
تحرير : سميح شبيب

دراسات اعلامية
تحرير : سميح شبيب

الثقافة السياسية الفلسطينية
باسم الزبيدي

العيش بكرامة في ظل الاقتصاد العالمي
ملتون فيسك

الصحافة الفلسطينية المقروءة في الشتات ١٩٦٥-١٩٩٤
سميح شبيب

التحول المدني وبذور الانتماء للدولة في المجتمع العربي والاسلامي
خليل عثامنة

المساواة في التعليم اللامنهجي للطلبة والطالبات في فلسطين
خولة الشخشير

التجربة الديمقراطية للحركة الفلسطينية الاسيرة
خالد الهندي

التحولات الديمقراطية في الاردن
طالب عوض

النظام السياسي والتحول الديمقراطي في فلسطين
محمد خالد الازعر

البنية القانونية والتحول الديمقراطي في فلسطين
علي الجرباوي

سلسلة التجربة الفلسطينية

سَأُحَدِّثُكُم عَن هَاجِس : مجموعة نصوص أدبية ل أقلام جديدة
تقديم وتحرير هَيفـاء أسـعد

المقاوَمة الشعبية في فلسطين تاريخ حافل بالأمل والإنجاز
مازن قمصية

شفيق الحوت
سميح شبيب (محرراً)

أنيس صايغ والمؤسسة الفلسطينية السياسات، الممارسات، الإنتاج
سميح شبيب (محرراً)

انتفاضة الأقصى: حقول الموت
محمد دراغمة

أحلام بالحرية (الطبعة الثانية)
عائشة عودة

الواقع التنظيمي للحركة الفلسطينية الأسيرة دراسة مقارنة ١٩٨٨-٢٠٠٤
اياد الرياحي

مغدوشة: قصة الحرب على المخيمات في لبنان
ممدوح نوفل

يوميات المقاومة في مخيم جنين
وليد دقة

أحلام بالحرية
عائشة عودة

الجري الى الهزيمة
فيصل حوراني

أوراق شاهد حرب
زهير الجزائري

البحث عن الدولة
ممدوح نوفل

سلسلة مبادئ الديمقراطية

ما هي المواطنة؟	المحاسبة والمساءلة
فصل السلطات	الحريات المدنية
سيادة القانون	التعددية والتسامح
مبدأ الانتخابات وتطبيقاته	الثقافة السياسية
حرية التعبير	العمل النقابي
عملية التشريع	الاعلام والديمقراطية

سلسلة ركائز الديمقراطية

التربية والديمقراطية
رجا بهلول

حالات الطوارئ وضمانات حقوق الانسان
رزق شقير

الدولة والديمقراطية
جميل هلال

الديمقراطية وحقوق المرأة بين النظرية والتطبيق
منار شوربجي

سيادة القانون
اسامة حلبي

حقوق الانسان السياسية والممارسة الديمقراطية
فاتح عزام

الديمقراطية والعدالة الاجتماعية
حليم بركات

سلسلة تقارير دورية

واقع التمييز في سوق العمل الفلسطيني من منظور النوع الاجتماعي
صالح الكفري، خديجة حسين نصر

نحو قانون ضمان إجتماعي لفلسطين

تطوير قواعد عمل المجلس التشريعي نحو قانون للسلطة التشريعية
إعداد : جهاد حرب اشراف : عزمي الشعيبي

نحو نظام انتخابي لدولة فلسطين الديمقراطية
جميل هلال، عزمي الشعيبي وآخرون

الاعمال التشريعية الصادرة عن رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية
سناء عبيدات

دراسة تحليلية حول أثر النظام الانتخابي على تركيبة المجلس التشريعي القادم
احمد مجدلاني، طالب عوض

سلسلة التجربة الفلسطينية

هذا الكتاب

هذا الكتاب صفحات من مخطوطات لأقلام جديدة نجح هاجسها في أن يُتَرجَمَ عبر نصوص أدبية تنوعت ما بين القصة القصيرة، والقصيدة النثرية، واليوميات، والخواطر. كُتّابٌ من الجنسين، شباب في تجاربهم الكتابية، وإن تجاوز بعضهم الأربعين، استطعنا معاً أن ننجح في التواصل لنجمع جهودهم في الكتابة، وللتعريف بهم، عبر هذا النشر. كتابات تم تجميعها من كتّاب وكاتبات فلسطينيين/ات، يخطون هذا الدرب متأملين أن يكون هذا النشر أولَ المشوارِ لعطاء سيطول ويتطور، بما يحشدون من مثابرة ذاتية، وبما يتأملون من توفره من دعم واهتمام ممن يعنيهم الأمر.

هيفاء أسعد

فلسطينية من مواليد العام ١٩٦٢، عايشت التهجير واللجوء مع أهلها الذين رُحِّلوا عن قريتهم "بيت محسير" إحدى قرى القدس منذ العام ١٩٤٨. أكملت تعليمها الثانوي في مدرسة رام الله الثانوية للبنات في العام ١٩٨٠، ومن ثم الجامعي في جامعة بيرزيت–فلسطين، حيث حصلت على البكالوريوس في الاقتصاد العام ١٩٨٦، وعلى الماجستير في الدراسات الدولية في العام ٢٠٠٤. تعددت المواقع التي عملت فيها الكاتبة في المؤسسات العاملة في المجتمع الفلسطيني منها الحكومي، والأهلي، والدولي، حيث جمعت في سيرتها المهنية خبرات شملت البناء المؤسساتي، وحقوق الإنسان، والثقافة، والإعلام.

مواطن المؤسسة الفلسطينية
لدراسة الديمقراطية

ISBN 978-9950-312-66-1